" المعارك القلمية فى الصحف المصرية فى النصف الأول من القرن العشرين "

أولا : عوامل تأجيج المعارك الأدبية

١ - العامل السياسى " البيئة السياسية "

لا يستطيع مؤرخ الأدب أن يغفل أثر السياسة فى الكتابة وأثر الكتابة فى السياسة ، فقد نشأ كتاب مصر فى هذه الحقبة فى أحضان النهضة الوطنية وتطوروا معها وتأثروا بالتحول الذى انتقل به الوضع من الهجوم على الاستعمار والاستبداد إلى الصراع الداخلى بين الأحزاب ولمع كتاب الأدب بفضل السياسة ، نحن لا نقول إن السياسة وحدها هى المؤثر الوحيد ولكن أيضاً نجزم بأن الكاتب ابن بيئته ، وقد عاشت البيئة المصرية أبان الفترة الماضية ولا هم لها أو شاغل يعنيها إلا التحرر الوطنى والقضية الوطنية ، ومن ثم كانت الكتابة مترجماً للذات المصرية فكانت الكتابة جزءاً من العمل السياسى ، وصار من أهداف الكاتب الدعوى إلى الوطنية ، والعمل على تحرير مر من الاحتلال وهذا جزء من عمل الكاتب فى البلاد التى لم تحصل بعد على استقلالها ، ولقد كان الكتاب فى جميع الدول والبلاد هم القيثار الذى يضرب أنغام الحرية ولم يكن من الممكن أن يتجاهل الكتاب هذا الجانب أو يقفوا مكتوفى [1] الأيدى بل لعلى أغلو

---

[1] راجع تفاصيل ذلك فى " تطور الأدب الحديث فى مصر " د / أحمد هيكل مرجع سابق ص ١٠٦ وما بعدها .

إذا قلت إن العمل السياسي كان هو العمل الأصيل ، وأن الكتابة كانت فرعاً منه .

فقد ارتبطت حياة أدبائنا المعاصرين [١] بالصراع الحزبي وبالعمل السياسي إذ كانوا من أدوات هذا العمل الصحفي الحزبي الدائم ، إلا قليلاً منهم أمثال (زكي مبارك ، ومصطفى صادق الرافعي ، وتوفيق الحكيم) ، وإن لم تخل حياة هؤلاء الأدباء من أثر سياسي ولكن هل أعطت السياسة القلم شيئاً ؟ يقول النقاد: نعم أعطته المرانة وجعلت أسلوبه يسيراً سهلاً وخلصته من إطالة المقدمات وعلمته ألا يجاوز الاختصار والإبانة فى كلمات ، ولكنها أقحمته فى معارك حزبيتها ومناوراتها ، وخصوماتها ، فعم الجدل وغلبت روح التحامل والصراع على الوصول إلى الإقناع وبالغ النقاد فى وصف هذا التوجه حتى قالوا إن الخصومات الأدبية [٢] كانت فى الأغلب نتائج لخصومات سياسية ، وأنها جزء من هذه الخصومات ، فنظرت لنا معارك وخصومات أدبية كانت نتيجة ما دخل فيه الأدباء معا من خلافات سياسية ، ولعل أخصب هذه الفترات هي عشرينيات وثلاثينيات هذا القرن .

---

(١) مجلة الكاتب المصري ، سبتمبر سنة ١٩٤٦ .

(٢) نفس المرجع السابق .

فـــبعد انتـــهاء ثورة ١٩١٩م بتصريحات شكلية حول الجـــلاء والاســـتقلال ونحو ذلك واكتفاء الحركة الوطنية بهذه الشـــكليات مما مَثَّل أكبر نكسة للحركة الوطنية نفسها ، وأخذ الخـــلاف السياسي بين (سعد زغلول) و (عدلي يكن) يسيطر علـــى حـــياة البلاد السياسية ، ويحرف المسائل المصرية فى غمار المـــنازعات والخصـــومات الشخصية ، ويطبع الأحزاب بطابع المهاترات .

هـــذه الأزمـــة السياسية الشاملة التى اجتاحت مصر فى عشـــرينيات وثلاثينـــيات هذا القرن جعلت الكثير من الأدباء والمفكـــرين ـــ كما يذهب بعض دارسي الأدب ومؤرخيه [١] ـــ إلى التحـــرر من القيودِ المفروضة عليهم فنشأت حركة مستنيرة اتجـــهت إلي تطعيم الفكر المصري بكل ما هو جديد ونافع ، ولم يكن هؤلاء الأدباء بعيدين عن الساحة السياسية بحكم أنهم كتاب فدبجـــوا مقـــالاتهم متصلة بأحداث عصرهم من ناحية، وبحكم مصـــريتهم التى جعلتهم لا ينفصلون عن واقع تعيشه بلادهم من ناحـــية أخـــرى ، وهكذا كما يقول أحمد أمين [٢] أن السياسة دخلـــت فى الأدب وطـــبعت الأديب بطابع سياسي ولم يستطع

---

(١) تطور الأدب الحديث ـــ مرجع سابق ص١٣٠ وما بعدها بتصرف .

(٢) مجلة الكاتب المصري عدد سبتمبر ١٩٤٦م .

الناس التفرقة بين موازين السياسة ، فأفسدت الأدب والنقد معاً ولعل مما هو جدير بالتسجيل أن الاختلاف الذى فجرته السياسة لم يقف عند حدود الصراعات السياسية فى الجيل الماضي فحسب بل تعداه إلى تقويم المفكرين والأدباء لأثر السياسة فى الأدب فيتجسد الخلاف ، فبينما نرى (أحمد أمين) يؤكد كما سبق أن السياسة أفسدت الأدب ، نجد سلامة موسى معارضاً له حين يقول : هناك من يزعم أن السياسة أفسدت أدباءنا ، وشغلتهم عن مهمتهم الأصلية ، وهذه المهمة إنما هي عند هؤلاء الداعين إلي البرج العاجي الذى لا يتصل بالمشكلات العصرية ولكنهم مخطئون ؛ لأن الأديب فى عصرنا يخون عصره إن لم يكن سياسياً ، ولذلك لا يستحق أدباؤنا اللوم على أنهم أخضعوا أدبهم للسياسة بل الحق أنهم يستحقون الثناء والحمد، إذا كان الخلاف فى وجهات النظر حول أثرها فما بالنا بهذه الأحزاب التى تصارعت والذى كان لكل حزب فيها مجموعة من كبار الكتاب والمفكرين منافحين عنه ومؤيدين لدعوته ومجرحين لخصومه أيا كانت هذه القضايا التى ظهر بها خصومهم السياسيون على الساحة فكرية أدبية أو سياسية [١]، وهذا ما جعل سامح كريم يقول : " حقاً إن

---

[١] نزاعات التجديد ــ أنور الجندي ــ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بدون تاريخ ص ٧٦ .

الأحزاب المصرية أضرت بمصر فى نواحي كثيرة ولكنها من ناحية أخرى أحدثت تطوراً كبيراً فى النواحي الفكرية ، فقد كان لكل حـــزب وجهـــة نطره السياسية يدافع عنها ولكل حزب جريدة يغلـــب فـــيها مبادئه ويجعلها منتدى أنصاره وأعوانه ، ولذا فقد أذكت الصحافة الحزبية الحياة الفكرية فى مصر وأنعشتها . [١]

وهكـــذا شكلت السياسة عنصراً أساسياً فى نشوء هذه المساجلات الأدبية فى عصرنا الحديث .

وننتقل إلى عامل آخر فى الفصل التالي .

---

[١] معارك طه حسين الأدبية والفكرية ـــ سامح كريم مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م ـــ ص ١٣ .

٢ العوامـــل الثقافيـــة

تعددت العوامل الثقافية ، التى أسهمت بشكل مباشر فى قيام الصراع الفكري ، واحتدام المعارك القلمية فى النصف الأول من القرن العشرين ، ويأتي فى مقدمة هذه العوامل : "التعليم ".

التعليـــم :

رأيـــنا فـــيما سبق أن النهضة التعليمية بدأت فى القرن التاسع عشر ، ثم تحولت إلى مبادرات أهلية فى النصف الأول من القـــرن العشرين ، حين حرص الاستعمار على تقليص التعليم ، وأدرك المســـتنيرون فى البلاد أهميته ، ولاشك أن جنى الاستثمار التعليمي فى القرن التاسع عشر ، أينع وحان قطافه فى السنوات الخمسين الأولى من هذا القرن، وقدم لنا قامات شامخة فى مجالات متعددة . [١]

علـــى أنه يلحق بالتعليم " البعثات والترجمة " بوصفهما مكملـــين للعملـــية التعليمـــية ، وشريكين أساسيين فى الصراع الفكري .

وإذا كان رفاعة الطهطاوي إمام أول بعثة ثقافية فى العصر

---

(١) راجع ذلك فيما تقدم ص ٣ وما بعدها من مدخل الدراسة .

الحاضر مثلت اتصالاً حقيقياً بثقافة العالم الغربي ، قد كان لها فيما بعـد أعظـم الأثر ، فقد عادت البعثة مزودة بثقافات واسعة فى عـدد مـن الفنون والعلم ، ثم توالت البعثات ، وعاد المبعوثون لـيقدموا مـا تعلموه زاداً ثقافياً متنوعاً ، وقامت على أكتافهم حركة ترجمة واسعة ، وإن بدأت فى وقت مبكر فى القرن التاسع عشـر [١]، إلا أن أوائل القرن العشرين شهد حركة واسعة من التـرجمة انـتظم فـيها طائفة من المثقفين ، فترجم لطفي السيد كتابات "أرسطو طاليس" فى أربع مجلدات ، وترجم عبد الوهاب عـزام " الشـاهنامة " ، واهتم " السباعي " بالكاتب الفرنسي " جـى . دى . موباسان " ، وترجم حافظ إبراهيم " البؤساء " لفيكـتور هوجو ، وفى الربع الثاني من القرن العشرين ، اتسعت حـركة التـرجمة اتسـاعاً كبيراً ، بل رأينا مشروعات جماعية للترجمة[٢].

وقـد كانـت للتـرجمة والبعثات آثار واضحة فى بعث الخصومات الفكرية والمعارك القلمية ، إذ دعا هؤلاء إلى تحديث الفكر وتطوير الإبداع ليتماشى مع ما رأوه فى الثقافات الأخرى

---

(١) عصر إسماعيل ــ عبدالرحمن الرافعي ــ مرجع سابق ص ٢٠٨ وما بعدها .

(٢) أضـواء على الأدب العربي المعاصر ــ أنور الجندي ــ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٩٦٦م ص ٣٤ وما بعدها بتصرف .

فى الوقت نفسه رأى أنصار الفكر العربي الخالص أن هذه الأفكار المستوردة الغريبة فيها ما يهدد التراث ، ومن ثم وقفوا فى وجه هذه الدعوات وعدوها دعوات تغريبية ، ولكن أنصار هذه الدعوات ، رأوا فى بريق الحضارة الغربية ما يغض فى نظرهم من شأن ثقافتهم العربية ، وقرنوا بين واقع الشرق الضعيف ، وحضارته ، واستمرت المعركة تشتعل كل يوم ، ويكتسب كل فريق أرضاً جديدة ، وتربح الثقافة العربية عصارة أفكار هؤلاء جميعاً .[1]

على أن ذوى الثقافات الأوربية لم يكونوا على نمط واحد فقد تعصب كل منهم لثقافة انتهى إليها ، وانتصر لها ، وهكذا اتسع أفق الخلاف ، وتعددت مناحيه ، وأثمرت هذه الخلافات حركة دائبة ، وخاضت سجالاً من المعارك .

العامل الثاني : الصحافة :

وقد أصبحت الميدان الذى تفجرت على أرضه معارك الأدباء والمفكرين فى القضايا المختلفة ، وكان لكل صحيفة كتاب أخذوا طابعاً خاصاً وسمتاً مميزاً اتصفوا به ، حتى لنستطيع القول إن كل صحيفة مثلت مدرسة أدبية لها اتجاه واضح محدد ولها فكر

---

(١) تطور الشعر العربي الحديث في مصر د/ ماهر حسن فهمي مكتبة نهضة مصر بالفجالة ١٩٥٨م ص ٨٠ وما بعدها بتصرف .

معين يشترك كل كتابها فى الدفاع عنه ، والزود عن حوضه .

وقد بدأت الصحافة أولى معاركها معركة خاصة بها حين سيطر الحكام والولاة والنفوذ الأجنبي على مقدراتها ، استطاعت مـــع الزمن أن تفلت من هذا العقال ، مع معركة حامية ممتدة ، كان للصحافة الأهلية دور مهم وبارز فى إحداث الوعي الذى ما لبث أن أضحى ضغطاً اجتماعياً ، اضطر معه الحاكم والمستعمر أن ينفض عنها بعض براثنه لتجري فى تيار الحرية [١].

واصـــطرعت الصـــحافة لارتباطها بالأحزاب ، ودخلت معـــارك عديـــدة ، ولكن هذه الروح الحزبية القلقة ، أدخلت الأدبـــاء فى ركب السياسة ، والكتابة الحزبية ، وكان لاختلاف هذه الاتجاهات أثر واضح فى ثورة عارمة بين الكتا ب ، مختلفي الاتجـــاه ، فنتجت معارك قلمية حامية ، تولت الصحافة تأجيج أوارها ، لينشغل الفكر المصري بها أمداً بعيداً [٢].

فمقالـــــة واحـــدة كفـــيلة بإثارة معركة أدبية ، تروح المســـاجلات فيها بين الأدباء وتجئ ويتحفز للموضوع أكثر من طـــرف ، وهذه الحوارية التى تنقلها مجلة الهلال بين د/ هيكل ،

---

(١) تطـــور الصحافة المصرية ـــ د/ إبراهيم عبده ـــ مرجع سابق ص ١٣٧ : ٢٠٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٦ وما بعدها .

د / طـــــه حسين ، لتؤكد ما ذهبنا إليه " ... والتقيت بطـــه ، ســـألني إن كنت قرأت مقالـــه ، فأبديت له إعجابي ، ودهشتي للفكرة التى خامرته (يقصد دفاعه عن الحرب العالمية الأولى) فى وقـــت كانت تدوى فيه الميادين كلها بأهوال القتال والتخريب وإحـــراق المـــدن ، فأجـــاب أنا كتبته لترد علي حتى نتجادل ، وردت بـــدوري ، وتبادلنا الردود فى مقالات انحاز لطـــه على إثـــرها فريق من أصدقائنا ، وانحاز لي فريق ، ومع أن الخصومة الكتابـــية أرقدت نارها يوم ذاك بيننا فقد بقينا كما كنا ، وكما سنبقى دائماً أخلص الأصدقاء " . [1]

وهكـــذا تحـــولت الصـــحافة إلى ساحة النزال والمعارك الفكـــرية ، وذلـــك ما يمثله ما جعلناه تحت بصر الدراسة ، وما أوحى إلينا بدراسة هذه الظاهرة وتقويمها .

---

[1] مجلة الهلال ، فبراير سنة ١٩٣٥م .

٣ – البيئة الفكرية

وأقصـــد بالبيئة (الجو والمناخ العام) وأستطيع أن أرى أكثر من مستوى يحفز على الصراع ، ويوقع النقاش .

المستوى الأول " البيئة المصرية " :

مثلت هذه الحقبة فى تاريخ الشعب المصري حقبة صراع فى ساحات متعددة للنزال ، فالصراع الطبقي بين أغلبية مطحونة وأقلـــية لا تقنع ، بما تحصل فى أيديها من قوت ودماء الفقراء ، وصـــراع من أجل التحرر والتخلص من الاستعمار وغيره ، وقد يقـــال إن التوجه العام لدى فصائل المقاومة المصرية ، قد اتفقت علـــى الهدف نقول : نعم ، لكنها اختلفت فى الوسائل ، وكيفية استخدام المعطيات المتاحة لها ، والصراع الفكري بين الإحساس بالـــذات والـــبحث عـــن الجذور ، وبين غرس المفاهيم الوافدة والتشبث بالتراث ، وهكذا كان المجتمع المصري يموج بالكثير من الصراعات الفكرية ، والخصومات القلمية .

وقد لعبت الظروف الثقافية المتنوعة داخل المجتمع المصري والـــتى شـــكلتها البيئة الاجتماعية الممثلة لهذه الظروف دوراً في تقوية مناخ المعارك الفكرية والقلمية .

" البيئة الثقافية " :

تمـــثلت البيئة الثقافية في المناخ الثقافي الذي تنفسته البلاد في الصـــنف الأول من القرن العشرين، فكانت بيئة الأزهر أكثر عطاءاً ، وكان أبناؤها رواداً للحركة العلمية والتعليمية ، ثم سطع دور الجامعة المصرية ، وما أحدثته من انفتاح على ثقافات جديدة وهـــؤلاء الوافدون من البعثات وفي جعبهم الكثير مما حصلوه من الفكر الغربي ، وكان للصالونات الأدبية والعلمية في ذلك الوقت دور كبير ؛ إذ أصبحت البوتقة التي تنصهر فيها عناصر ومعادن مخـــتلفة ، فيحدث التفاعل ويتصاعد البخار محملاً بروائح مختلفة ومخلفاً عناصر وفلذات جديدة التخليق .

وقد عرفت " القاهرة " الصالونات الأدبية أول ما عرفت فكـــان صالون" نازلي فاضل [١]" ، وهي من البيت العلوي كان أبوها " مصطفى فاضل " ولياً للعهد في عهد "الخديوي إسماعيل " وكانت هي زوج لسفير تركيا في " باريس " ، وكانت تشارك في النشـــاط الاجتماعي والثقافي في صالونها الفكري الذي تعقده في منـــزلها،وكان من رواده الإمام "محمد عبده ، والشيخ/عبدالكريم ســـالمان ، وســـعد زغلول ، وقاسم أمين ، وحسن عبدالرازق،

---

(١) الصالونات الأدبية في الشرق والغرب ـــ مقال الدكتور / الطاهر أحمد مكي ـــ مجلة الدوحة ـــ يوليو ١٩٨٤م ص ٣٨ وما بعدها .

وغيرهـــم " وكانـــت السياسة والإصلاح الاجتماعي في مقدمة شـــواغل الصالون ، ولكنه كان صالون علية القوم ، لا يبلغه إلا مـــن ارتقى في سلم الحياة الاجتماعية . ويعد صالون الأديبة "مي زيـــادة [١]" الكاتـــبة المعروفة لأب لبناني وأم فلسطينية من أشهر الصـــالونات الأدبية في ذلك الحين ، وقد استمر صالونها من سنة ١٩١١م إلي ١٩٣٠م ، وقـــد بدأ في مسكنها في شارع " عدلي" في المكان الذي تشغله محطة البترين الآن ، وكان يحمل اسم شارع "المغـــربي " ثم انـــتقل الصالون عام ١٩٢٢م إلي طابق في جريدة الأهرام ، وكان رواد الصالون توليفة مختلفة من الشعراء والكتاب والسياســـيين ورجـــال الدين أمثال : " إسماعيل صبري ، منصور فهمي ، لطفي السيد ، احمد زكي باشا ، محمد رشيد رضا،الشيخ علـــي عبدالرازق ، مصطفى عبدالرازق ، خليل مطران ، حافظ إبـــراهيم ، سلامه موسى ، العقاد ، الرافعي ، المازني ، والمرصفي وغيرهم " وهو كما ترى صالون حافل عامر بمختلف الاتجاهات والـــتوجهات، وهامـــت كثير من قلوب الوافدين بحب صاحبة الصـــالون ، بـــل تنافسوا في ذلك ، لكنها استطاعت أن تحتفظ

---

[١] الصالونات الأدبية في الشرق والغرب ـــ مجلة الدوحة مرجع سابق .
مي زيادة أسطور الحب والنبوغ ـــ نوال مصطفى ـــ الهيئة المصرية العامة سلسلة مكتبة الأسرة الفصل الثالث .

لنفسها بمكانها بين الجميع ، لكن الذي يعنينا أن الصالون عني أول مـــا عـــني بالثقافة عموماً وبالأدب خصوصا ، وما أن بدأ العمر يتقدم بصاحبة الصالون حتى أغلق أبوابه .

وقد عرفت مصر كذلك صالونات أخري في دور الأثرياء مـــن مثل"صالون آل عبدالرازق"،"دار المرصفي"،" دار المراغي"، كمـــا حلت المنتديات في دور الصحف والمقاهي في الأربعينيات محـــل الصـــالونات ، فمقهى الحلمية في الحلمية الجديدة، ومقهى القزاز في " باب الخلق " ، " والفيشاوي " في حي الحسين. [١]

وظلـــت هذه المنتديات والمقاهي مع اختلا ف صورها ، وتطـــور أشـــكالها ، تربط بين المفكرين والأدباء بصلات وثيقة ، وتطورت فكان في تطورها خير وبركة على الحياة الثقافية.

كمـــا صحب ذلك إنشاء العديد من المكتبات والمتاحف والآثار وغيرها من ملتقيات المثقفين والمفكرين والمبدعين ، وكانت هذه المنتديات ساحات للمعارك القلمية ، والنزال الفكري بالرأي والنقد المباشر ، أو بالتعليق والكتابة في الصحف.

وهكذا رأينا أن الدوافع والعوامل الثقافية كانت لها دور مهم في هذا الجانب .

---

(١) أضواء على الأدب العربي المعاصر ـــ أنور الجندي ـــ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـــ القاهرة ١٩٦٧م ص ٢٦٨ وما بعدها .

٤ – العوامل النفسية

لعله من الأمور التي تجلي لنا طبيعة الصراع والتوتر الذي أنتج المعارك القلمية الوقوف مع العوامل النفسية التي خلقت الدوافع الذاتية لدى الكتاب للانخراط في معارك فكرية على صفحات الدوريات ، وفي دراسات قائمة بذاتها .

فلا شك أننا خلال بسطنا لهذه المعارك وأسبابها لا يمكننا أن نغفل الفاعليات النفسية التي صدرت لنا هذا النتاج الفكري، فلا ينبغي أن نقف عند مظاهر هذا العمل دون أن نجد له تفسيرا نفسيا يمثل الحافز،صحيح أننا قد لا نستطيع أن نحيط به إحاطة كاملة؛ولكن لا ينبغي أن نغفله، فالصدمات النفسية العاطفية أو المصيرية وتجارب الحياة،تخلق توجهاً داخليا نحو الفعل فيعبر عنه في صياغات عقلية وفكرية نتحسسها تحسسا غامضاً؛إلا إذا حاولنا النفاذ إلي ما يربط العلة بالمعلول والسبب بالمسبب فـ" في تعاملنا مع الأسلوب السيكولوجي من الإبداع، لا نحتاج لأن نتساءل عن مادته مما تتكون،ولا عن معناه إلام يرمي؟.

لكن هذا السؤال يفرض نفسه علينا..... ثم نطلب

الشرح والتفسير " [١] .

إن السلوك الإبداعي ، إنما هو نتاج رؤية مكتسبة من الخبرة الشخصية والحياتية عموماً ، وهذه الرؤية في صورتها الأولية إنما هي تعويض مبدئي عن الواقع ، إن " كل شخص مبدع هو شفع ، أو تركيب من مؤهلات متناقضة ، إنه من جهة كائن بشري له حياته الخاصة ، وهو من جهة ثانية غير شخص بل هو سياق إبداع ، ولما كان من الممكن أن يكون سليما أو سقيما بما هو كائن بشري ، كان علينا أن ننظر في تكوينه النفسي لكى نكشف عن العوامل التي تعين شخصيته [٢] ؛ إذن فدوافع هذه الصراعات لا بد أن تتوافر عند أصحابها ، وهذه الدوافع تختلف عند المبدعين ، لكن في هذه الثلة المتميزة بطبيعة الصراع إلي مستوى حاد لا شك أن الدوافع فيما بينهم يربطها خط مشترك ، وإن اختلفت مفرداتها قوة وضعفا بين المتصارعين فتأكيد الذات وإثبات الوجود وتعجل الشهرة ، والتعصب والحسد ، كانت الخطوط المشتركة بين أقطاب معاركنا القلمية، وحتى لا يبدو كلامنا مرسلاً ، فلا بد أن نشعفه بالتوضيح دون

---

[١] علم النفس التحليلي ــ ك . ج . يونج ــ ترجمة فؤاد خياطة ــ سلسلة مكتبة الأسرة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٦٠ .

[٢] المرجع السابق ص ٢٧٥ .

الدخول في شبكة الدراسات النفسية المعقدة ، فما قلناه جاء فيما رد به "جورجي زيدان " على المطاعن التي قذفه بها " طه حسين" وهو بصدد نقد كتاب"زيدان"" تاريخ آداب اللغة العربية "يقول "زيـــدان" في رده : " لا يجوز أن يكون المراد بانتقاد الكتب غير خدمـــة المصـــلحة العامة ، فالمؤلف والمنتقد صديقان أو زميلان، يتعاونان في البحث عن الحقيقة لمجرد خدمة الحق وليس خصمين يتنازعان على السيادة ، أو يتسابقان إلي التفاضل في المقدرة على الطعـــن ، فإذا أريد به الطعن أو التشفي ذهبت الفائدة المقصودة بـــه ؛ لأن القارئ يسبق إلي ذهنه أن المنتقد ، إنما يكتب لغرض شخصـــي أو حســـد أو تعصب فيأخذ أقواله مأخذ التحامل ولا يعيرهـــا الـــتفاتا فـــتذهب ضياعاً ، فضلاً عن أن رجال الأقلام جديـــرون بـــأن يكونوا قدوة الأمة في التنـــزه عن السفاسف، وأن يصونوا أقلامهم من المطاعن الشخصية " ويمضى إلي القول "ومـــن أهم شروط الانتقاد ، التي لا ينبغي للمنتقد المنصف أن يجهلـــها ، أن المراد بالانتقاد ليس ذكر السيئات فقط ، وإنما هو وصف الكتاب بما فيه من حسن ، بلا رمز ولا تعريض ، ليكون الانـــتقاد أوقـــع في النفس وأدعى إلي القبول ، وأدل على أدب الكاتـــب ، وإلا فإن النفع المنتظر منه ينقلب إلي ضرر إذ يكون

المنتقدون قدوة سيئة لسواهم في التعرض للشخصيات " [١] .

ورغم طول الفقرة التي نقلناها عن " جورج زيدان " إلا أنهـا كشفت عن الألم النفسي الذي أحدثه تجريح " طه حسين " للكـتاب ودافعه قبل أن يكون نقداً ، هو حب الظهور وتعجل الشـهرة ، فقد كان لا يزال طالباً ولكن هي طبيعته الحادة التي تحاملت على أساتذته في الأزهر من قبل ، والتمست لهم الأخطاء في محاولـة لتأكـيد الـذات ، ولو نظرنا إلي نقد " طه حسين " لكـتاب " جـورج زيدان " لا نراه يخرج عن الحدة والعنف ، وتجـريح صاحبه وتقطيعه بألسنة حداد ، يقول : " .... وتحدثوا أيضـاً أن لـه ـ يقصد المؤلف ـ في كل نوع من العلوم على اخـتلافها حظاً كبيرا ، وسهما موفوراً ، فهو في اللغة فيلسوف ولهـا مـؤرخ ، وعلى أسرارها مطلع وبآدابها خبير بصير ..... ويمضى في تهكمه وسخريته إلي أن يقول : " ... ذلك مثل فريق مـن كـتاب مصـر أطمعتهم غفلة الجمهور وفتور الناقدين ، فاسـتبقوا الزعامة وتنافسوا على الرياسة ، وابتدروا الشهرة من غـير سبيل ، فهم لصوص الأدب وأدعياؤه ، وهم دخلاء الفن والوالغـون فيه ، هم أحق الناس بصلم الآذان وجدع الأنوف ،

---

[١] مجلة " الأدب عدد ٨ ، يناير ١٩٦٣م ، نقلا عن مجلة " الهداية عدد يونيو ١٩١١م .

حتى يكونوا موعظة للعقلاء وفكاهة للجاهلين ... " [١] .

وعصامية العقاد وحساسيته المفرطة ، أورثته حدة المزاج، والكفاح الشاق علمه عنف الطبع ، فتكفل بكل نقد يوجه إليه بـــل طـــال قلمه كل رواد عصره ، من سبقوه أمثال : "شوقي والمنفلوطـــي " ومـــن زاملـــوه كـــ " الرافعي " ومن جاء بعده كـــ " مندور " .

وعلـــى الرغم من أن كتابه والمازني " الديوان يعد منجماً لآرائهـــم النقدية إلا أنه يحفل بالتجريح والطعن ، والانتقاص من شخصية شوقي والمنفلوطي متجاوزاً حد النقد ، طاعناً في شخص الرجلين بكل نقيصة ممكنه .

والرافعـــي قعـــد به الصمم عن مواصلة التعليم ، ووجد بغيـــته في القراءة ، رفيقة عزلته وصنو وحدته ، فأضحى متربصا عنيفا يمسك بتلابيب خصمه ، يناطحه ويتهجم عليه ويوجه إليه الضـــربات القاضـــية بما هو محق فيه ، وما هو مفتئت به ، وقد تكفـــل بـــ " العقاد ، وطه حسين " فنال كل منهما من نقداته ولدغاتـــه ، بل ولطماته ، فكتابه " تحت راية القرآن " مقالات جمعـــت كانـــت سهاما شرسة نالت من الدكتور " طه حسين " بعدما حانت الفرصة للرافعي بصدور كتابه " في الشعر الجاهلي "

---

[١] مجلة الأدب عدد ٨ يناير ١٩٦٣م .

سنة ١٩٢٦م ، فهو ـ أي صاحب الكتاب ـ عند الرافعي "أداة أوروبية استعمارية تعمل في إفساد أخلاق الأمة وحل عروها الوثقى من دينها ، في أدبه ولغته وكتابه ، فهو دائب في إزالة ما وقر في نفوس المسلمين من تعظيم نبيهم وكتابه وإيثار دينهم ، وإحلال علمائهم مرة بالتكذيب ، ومرة بالتهكم ، ومرة بالزراية ، كأنه شيطان عاقبه الله فطمره في جلد إنسان " [١] .

وإذا كان تحت " راية القرآن " سهامه التي وجهها إلي " طه حسين " فيشهد " على السفود " المقالات التي خص بها " العقاد " ، بعد صدور ديوانه " وحي الأربعين " ، فيخرج في مقالاته عن النقد إلي السب المقذع الذي يعاقب عليه القانون، فالعقاد في رأيه " ... لص من أ خبث لصوص الأدب ؛ لأنه مع هذه اللصوصية يدعي دائما ملكية ما يسرقه ، ومع هذه الوقاحة في الإدعاء يحقد على كل من يملك شيئا من مواهب الله ، ومع هذا الحقد الدنئ لا يتصور الناس إلا أمثلة من نفسه " . [٢]

---

(١) تحت راية القرآن ـ مصطفى صادق الرافعي ـ المطبعة التجارية الكبرى القاهرة ، بدون تاريخ ص ١١ .

(٢) على السفود ـ مصطفى صادق الرافعي ـ المكتبة التجارية القاهرة ص ٢٢.

وزكي مبارك قاده طموحه إلي أخذ مكانه وسط العماليق مهما كلفه ذلك " لو جاع أولادي لشويت طه حسين وأطعمتهم لحمه " [١].

فقد كان لطه حسين دور في إقصائه من التدريس بالجامعة ، ومن ثم أوغر صدره ، فلم يترك مناسبة إلا واتخذها ذريعة للهجوم عليه ، وانزلق في كثير من الأحيان إلي مهوى الإسفاف ، ولم يكن ذلك مقصورا على هؤلاء الأربعة ، بل تعداهم إلي كل الفرسان الذين نزلوا ساحة المعارك القلمية دون استثناء ، وسوف تكشف الصفحات التالية من البحث النقاب عما أشرنا إليه ، فهل النرجسية إلي الاشتباك مع الآخرين للظفر بمجد ذاتي ، أم أن العصابية التي أصابتهم جعلتهم أكثر حدة واندفاعاً ، أم هي إرادة الفرد التي يريد أن يفرضها على إرادة النوع هي من المحفزات ، إن كل تفسير من هذه التفسيرات له وجاهته ، ولا نستطيع أن نعدم أثره أو خلفيته في النماذج التي أججت هذه المعارك ، والنوازع النفسية لا نستطيع دفعها " وقديما قال أرسطو ــ وهو بسبيل الحديث عن المأساة ــ عن فكرة التنفيس " الكاتر سيز " ، ومؤداها أن التمثيليات تعين المتفرجين على أن يتخففوا من مشاعرهم الزائدة الخبيثة ، وأن

---

[١] المعارك الأدبية في مصر ــ أنور الجندي ــ مكتبة الأنجلو القاهرة ١٩٨٣م ص ٦٧ .

يحققوا رغباتهم المكبوتة ، وهذا التنفيس هو الذي يحدث في نفس المتفرج المتعة ويشعرانه بالسعادة " [١] .

وفي رأيي أن المبدع يعتمد على طاقات عقلية كاملة فيه ؛ وإلا فإن المحثات ، قد يشترك فيها أكثر من شخص لكن لا يقدم لـــنا إبداعاً ، وتفرغ هذه الدوافع النفسية في غير الإبداع ؛ إذن فـــلا أتصـــور أن تكون الدوافع المستمدة من الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية تسهم في تشكيل عمل إبداعي ، دون أن يكون للمبدع هذه الطاقات العقلية والقدرات الخاصة ، و إلا ســـيتحول العمل الإبداعي إلي عمل سلوكي بحت ، يحتاج إلي بطاقـــة نفسية ، وسوف يستوي أصحاب الظروف الواحدة في السلوك الإبداعي وهذا مخالف للواقع والمألوف .

كـــل مـــا قدمته أردت به فحسب أن أوكد أن الدوافع النفسية لا يمكن أن نعدم أثرها في تفعيل هذه المعارك استناداً إلي حـــركة المبدع المستندة إلي أبعاد نفسية واجتماعية ، والأساس النفسي نتبناه فقط لتفسير السلوك الإبداعي دون أن نتصور أن التفسير وحده قادر عن الكشف عن دقائق العمل الإبداعي بقدر ما نستشف منه توجهات المبدع .

---

[١] التفســـير النفسي للأدب ـــ د/ عز الدين إسماعيل ـــ مكتبة غريب الطبعة الرابعة بدون تاريخ ص ٤٠ .

ثانيا : أبرز قضايا المعارك الأدبية

١- الهويـــــــة

لعـــل الصـــراع الذى امتد فى النصف الأول من القرن العشرين حول تحديد هوية مصر ، وأسفر عن الكثير من المعارك والمساجلات بين مفكري مصر ، ولازال من آن لأخر يطفو على الســـطح حتى يومنا هذا ، كان هذا الصراع البؤرة التى انبعثت منها العديد من القضايا ، فالحديث عن الهوية ، أتبعه الحديث عن اللغـــة ، أتـــبعه الحـــديث عن الموقف من التراث ، أو ما عرف بـــ " القديم والجديد " ، ولعلي لا أبالغ أن منطلقات المفكرين فى اختيار الهوية ، واختلافهم حولها ، هو ما أوجد هذه الازدواجية فى الفكـــر المصـــري الحديث ، ودفع دفعاً إلى استيراد واستلهام تجـــارب وأفكار غريبة عن مجتمعنا ، وأسرف البعض على نفسه فانفتح خط التغريب على مصاريعه .

وقضـــية الهـــوية لم تكن وليدة النصف الأول من القرن العشـــرين ، فمـــنذ جاءت الحملة الفرنسية على مصر ، وأدرك المصـــريون أن الصـــلة بالخلافـــة الإسلامية هي صلة استعمارية لتكوين الإمبراطورية التركية ، منذ ذلك الحين بدأ المصريون وهم يتلمســـون طريقهم للخلاص من المستعمر الفرنسي ثم الإنجليزي

فيما بعد ، ومنهم من رأى ضرورة التخلص من الارتباط التركي حتى بعد أن ورث محمد علي وأبناءه عرش البلاد ، وهيمنوا على السلطة فيها ، إذ رأى فيهم المصريون ، رمزاً لمخلفات الاحتلال التركي .

ولقد كان " رفاعة الطهطاوي " أول من استخدم مصطلح " الوطن " فى العصر الحديث بمفهومه القومي ، فهو عند الطهطاوي إقليم مميز مستمر تاريخياً منذ أيام الفراعنة وأنها رغم انتماءاتها الإسلامية والعربية ، إلا أنها ذات تاريخ منفصل ومستقل .

وترجم نشيد " المرسيليز " الفرنسي فى محاولة للفت نظر الجماعة الوطنية إلى حقهم فى وطن يتساوون فيه فى الحقوق والواجبات [1] ، ولقي هذا الشعار صدى واسعاً فى " الثورة العرابية " وأصبحت مقولة " مصر للمصريين " تولد إحساساً عميقاً لدى المصري بمصريته لكنها لا تشعره بفقدان انتمائه الإسلامي ، فالثورة العرابية لم تكن تهدف إلى تكوين دولة مستقلة على أساس قومي ، بقدر ما كانت تهدف إلى وجود أبناء مصر فى

---

(١) مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية ط٢ الرغائب ١٩١٢م " فيه تفاصيل ذلك وخاصة الباب الخامس فى فصل ٣ وما بعده " .

السلطة دون الانفصال عن الدولة العثمانية . [١]

وتكتمل فصول الحلقة بالدعوة إلى تأسيس " الجامعة الإسلامية " والتى أطلقها الشيخ محمد عبده ، وتلميذه " محمد رشيد رضا " ، وعلى الرغم من أن دعوة " محمد عبده "[٢] وأصحابه كانت دعوة إصلاحية مستنيرة ، فلا تحمل سلفية ابن تيمية أو ابن عبد الوهاب ، وإن اشتركت معهم فى قيام هذه الدعوة ، وفق العقيدة السليمة من شوائب البدع ، وقدمت برنامجاً واضح المعالم بين محمد عبده فيه أن الإسلام من أعظم وأنبل مبادئه ، أنه لا يدعو إلى سلطة دينية ، بمعنى سيطرة رجال الدين على الحكم ، وقد اكتسبت هذه الدعوة أنصاراً عديدين بين الخاصة المتمسكة بالتقاليد ، وجماهير المسلمين المتعلمين أو أنصاف المتعلمين ، وعن تأسيس " الجامعة الإسلامية " ، يقول الشيخ / محمد عبده بشأنها : " لا ألتمس بقولي هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصاً واحداً ، فإن هذا ربما كان عسيراً ولكن أرجو أن يكون سلطانهم جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم

---

(١) " التاريخ السري لاحتلال انكلترا لمصر " ــ ولفرد سكاون ــ الطبعة العربية ــ دار المعارف القاهرة سنة ١٩٥٩م ــ سلسلة اخترنا لك ص ٦٣٦ : ٦٤١ .

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ / محمد عبده ــ محمد رشيد رضا ــ مطبعة المنار ــ القاهرة سنة ١٩٣١م ، جـ١ ص٢٧٤ ــ ٣٠٦ .

الـــدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ، فإن حياته بحياته وبقاءه ببقائه " [١] ، وغير خفي أنه لم يكن يراد بالـــوحدة الاندماج العضوي للمسلمين تحت قائد واحد ، ولكن مـــا يفهـــم من كلامه هو تقوية عناصر كل دولة مع تعاضدها وتساندها مع الأخرى فى كيان متماسك ، وتبنى " مصطفى كامل " الدعـــوة إلى " الجامعـــة الإسلامية " حيث رأى أن فى الخلافة الإســـلامية طوق النجاة ، وقامت سياسته التى تدعو إلى الخلاص مـــن الاستعمار البريطاني ، والتى حملتها خطبة المؤججة للوطنية وفـــق هـــذا المنهج ، وعليه تأسس " الحزب الوطني " وترسمت " المـــؤيد " و "اللواء" جريدتا " الحزب الوطني " خطي " العروة الوثقـــى " التى كان يصدرها " محمد عبده ، والأفغاني " ، والتى حملـــت رؤية الجامعة الإسلامية أو الخلافة الإسلامية ، ثم بدأت تلمـــع فى الأفـــق دعوة " مصر للمصريين " على أساس قومية مصـــرية ، تتخلص من الاحتلال الأوربي والهيمنة التركية فى آن واحد ، وهي الدعوة التى أطلقها " أحمد لطفي السيد " وتأسس وفـــق هذا النهج "حزب الأمة " يرفع لواء " القومية المصرية " ويدعو إلى الخلاص من الاحتلال الإنجليزي ، والهيمنة التركية فى نفس الوقت ، وقد أوجد الخلاف فى المنهج بؤراً كبيرة للصراع ،

---

[١] تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ / محمد عبده جـ١ ص٢٧٤ ــ ٣٠٦ .

تبارت فيه أقلام كتاب كل حزب بما لديه من أفكار ، يطعن على الحزب الآخر فيما يأخذه عليه ، ففي الوقت الذى يجابه الحزب الـــوطني الإنجليز ويرى التعامل معهم خيانة للوطن ، والاعتراف بهم تكريس للاحتلال [١] ، وجدنا " حزب الأمة " يهادن الإنجليز ويـــرى ضرورة التفاوض معهم فعندهم " كل وسيلة شريفة من كـــتابة ومشافهة وإيفاد وفودهم ، وتفهم ، وتفاهم ، وإقناع ، وكـــل طريق يوصلنا إلى مقاصدنا "[٢] ، وذلك حتى تهيئ الأمة للاســـتقلال ويستأثر حب الاستقلال الذاتي بجميع حواس الأمة وملكاتهـــا ، علـــى صورة تنفجر فى الحال عن الاستقلال العقلي العـــام " [٣] ، وفى تلـــك الحقبة احتدم صراع النخبة فأصحاب الثقافات الغربية أمثال " محمد حسين هيكل " و " طـــه حسين " وغيرهـــم وقفـــوا إلى جـــوار لطفي السيد ، وأصبحوا فيما بعد استمراراً لدعوته بالاستقلال " القومية المصرية " ودعاة " الجامعة الإســـلامية " فى الجانب الآخر يشنون حرباً شعواء على دعاة " القومـــية المصرية" إلى حد اتهامهم بالإلحاد ، ومعاداة الإسلام ،

---

(١) كفاحنا الوطني فى نصف قرن ـــ فتحي رضوان ـــ نقلاً عن خطاب لمصطفى كامل ص١٨ ، القاهرة ، دار الشروق سنة ١٩٤٧م .

(٢) الجريدة تاريخ ٢١ / ٩ / ١٩٠٧م .

(٣) الجريدة تاريخ ١٧ / ٥ / ١٩٠٨م .

ولكن الأحداث التالية جاءت فى صالح دعاة " القومية المصرية " فبعد إعلان الحماية على مصر ، سارت الأحداث فى التأكيد على ضعف دولة الخلافة ، وأصبحت مسمى صوري ، ثم أعقبها تخلي تركية عام ١٩٢٤م عن فكرة الخلافة ، والدعوة " الكمالية " إلى "التتـــريك" ومن ثم تهافتت فكرة " مصطفى كامل " التى كانت تدعـــو إلى الخـــلاص من الاستعمار البريطاني والتى حملتها خطبه المؤججة للوطنية ، والتى رأت فى الخلافة الإسلامية طوق النجاة .

غـــير أنه رغم التحول منذ إلغاء الخلافة العثمانية فى عام ١٩٢٤م مـــن فكـــرة " الأمـــة الإسلامية " إلى فكرة " الوطن القومـــي" الـــذى تتحدد معالمه وسماته وفق قواعد اجتماعية ـــ سياسية ـــ ظلت العلاقة التضامنية بين الدول الإسلامية بديلاً عن الـــوحدة ، وتمخضـــت فكـــرة " الوحدة العربية " أو " القومية العـــربية " طـــرحاً بـــديلاً لها ، وأصبح الصراع فى الميدان بين "العـــربية" و " المصرية " أيهما قوميتنا الأحق بالقبول والأجدر بالدفاع عنها ، على أن دعاة " القومية المصرية " كانوا فريقين ، فرين يرى تجاوز كل الفواصل الزمنية بين القرن العشرين ، وما قـــبل الميلاد بقرون ليحيى النزعة الفرعونية ، وكان رأس هؤلاء " محمد حسين هيكل " ، فقد كتب يدافع عن وجهة نظره تحت

عـــنوان " حاضر لا ماضي له لا مستقبل له " [١] ، بينما كنت بلبنان فى شهر يوليو الماضي ، قصد إلىّ زميل صحفي ، يتحدث إلىّ فى شـــئون ، وفى أخـــرى ، وكان من بين ما سألني عنه هذه الفـــرعونية التى أدعو إلى بعثها فى الأدب وفى غير الأدب ، وقد كان يبدو عليه شئ من الإنكار للفكرة الغريبة التى تشغل أذهان الشرق العربي وقلوبهم جميعاً ، ولأنها فيما يقول لا فائدة منها بعد أن غزا الإسلام بلاد هذا الشرق العربي فعفى فيها على كل أثر قبله ، وأحل لها حضارة جديدة ، لا صلة بينها وبين ما سبقها من الحضارات .

ولقد كنت أسمع لزميلي وهو يحدثنى معترضاً على فكرتي بشئ من الرفق والإشفاق ، على ما نسميه الحقائق ، وبينما كنت أسمـــع كـــنت أذكـــر مـــا ثار فى وجه هذه الفكرة بالذات من اعتراضـــات عنيفة فى بلاد الشرق العربي المختلفة ، بل فى مصر نفسها ، وما رمت به هذه الفكرة من مقاصد مستترة لم تجل قط بخاطـــري ، يـــوم دعوت إليها ، فقد انتهت بأنها ترمي إلى فصل مصـــر عن الكتلة العربية حيناً ، وعلى فرض زعامة مصر على الكـــتلة العـــربية حيـــناً آخـــر ، وإلى محاربة الفكرة الإسلامية والحضارة الإسلامية تارات .

---

[١] ملحق السياسة الأسبوعية ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٣٣م .

ويمضى إلى القول أنه سئل إن كان يقصد من دعوته " أن تحـــيا مصر هذا القرن حياة مصر منذ خمسين قرناً مضت ، تعيش كمـــا كان الفراعنة يعيشون ، وتؤمن بما كان الفراعنة يؤمنون ، وتفكـــر كما كان الفراعنة يفكرون ، وذلك محاولة المستحيل ، لأن الـــتاريخ لا يمكـــن أن يعود القهقرى ، ولأن الناس بعد أن تذوقوا الحرية لا قبل لأحد بإلزامهم أن يقوموا ببناء أهرام كتلك التى أكرهَ الفراعنة رعاياهم على بنائها ، وبعد أن تذوقوا الحرية الفكرية ، والحضارة العلمية لن يستطيع أحد أن يقيد أفكارهم ، أو يردهم إلى حضارة الخضوع والإذعان " .

والمقـــال طويل يستحق الوقوف عند أجزاء كثيرة منه ، لأنـــه يبين كيف صدمت هذه الفكرة العقليات العربية فى داخل مصـــر وخارجها ، وكثرت التساؤلات حول الهدف من الفكرة المطروحة ، وهذه الإيضاحات التى يقدمها المقال ، والتى لها دلالة واضـــحة علـــى أن خـــيوط الفكرة مثيرة للجدل ، وغير قابلة للتســـليم ، فتفضي الإجابة إلى تساؤلات هي مستمرة " ليست الدعـــوة لدراسة تاريخ مصر الفرعونية مقصوداً بها رداً للتاريخ على أعقابه ليصب فى منبعه ولا هي مقصود بها إلى الإعراض عن دراسة تاريخ الشرق فى مختلف عصوره " [١] .

---

[١] ملحق السياسة الأسبوعية ــ ٢٩سبتمر ١٩٣٣م.

وكالإجابة على سؤال آخر يقول " أما القول بأن الدعوة إلى إحـــياء الفرعونية فى الفن والأدب ، وما سواهما من ميادين الحياة ، إنما يقصد به إلى أن تحيا مصر اليوم كما كانت تحيا مصر الفرعونية ، وإن ذلك محاولة المستحيل ، لأنها محاولة رد التاريخ القهقـــري ، وصد تياره ليكر راجعاً إلى المنبع ، بدلاً من أن يظل مـــندفعاً إلى المصـــب " [١] ، إذن فما مقصود هذه الدعوة إذن " لا أقصـــد إلا أن يتصل المصري الحديث بروح المصري القديم وأن يســـتمد وحيه ، وأن يتابع هذا الوحي على تعاقب العصور مـــن بعد الفراعنة أثناء حكم البطالمة ، وأثناء العهد الروماني فى مصـــر ، وأثـــناء أطـــوار الحياة المختلفة التى تعاقبت على مصر الإسلامية إلى عصرنا الحاضر ، ويخالجني ريب فى أن كل اتصال بين روحنا اليوم ، وبين روحنا فى مختلف العصور ، يضاعف قوتنا وحيويتـــنا ، ويسمو بروحنا إلى مقام البقاء والخلود ... " [٢] ، ويبدو أن " هيكل " لم يستطع بعد كل ذلك أن يقنعنا بهذا الترف الفكري الذى ابتدعه ، والذى لقي ردود فعل غاضبة فى الداخل والخارج ، فهذا " أحمد حسن الزيات " المسالم ، الذى رغم دوره وجهده الثقافي فى مجلة الرسالة ، وفيما قدم لنا من إبداعات أدبية

---

[١] المصدر السابق .

[٢] المصدر السابق .

، لا نراه فارساً مشاغباً فى ميدان المعارك القلمية ، بشكل لافت للنظـــر ، هذه المسالة ، خرجت عن حدودها عند هذه القضية ، وجاء فى رده " لا تستطيع مصر الإسلامية إلا أن تكون فصلاً فى كتاب المجد العربي ، لأنها لا تجد مدداً لحيويتها ، ولا سنداً لقوتها ، ولا أساســاً لثقافتها ، إلا فى رسالة العرب ، انشروا ما ضمت القـــبور من رفات الفراعين ، واستقطروا من الصخور الصلاب أخـــبار الهالكين ، وغالبوا البلى على ما بقي فى يديه من أكفان الماضي الرميم ، ولكن اذكروا دائماً أن الروح التى تنفخونها فى مومـــياء فرعون ، هي روح عمرو ، وأن اللسان الذى تفتخرون بـــه هو لسان مضر ، وأن القيثار الذى توقعون عليه ألحان النيل هو قيثار امرئ القيس ، وأن أثار العرب المعنوية ، لا تزال تعمر الصدور ، وتملأ السطور ... وهي أدعى إلى الفخر ، وأبقى على الدهر " .[١]

وكمـــا قلـــنا لم تقف الردود عند حدود الداخل ، فهذه رسالة تنشرها " السياسة الأسبوعية " بتوقيع " أبو الخطاب "[٢] تمـــثل غضبة عربية من هذه الدعوة ، جاء فيها " ... لما ترى رد مصر إلى الفراعنة إذا ما أرادت وحدة روحية قومية تنظم الحاضر

---

(١) مجلة الرسالة أكتوبر سنة ١٩٣٣م .

(٢) السياسة الأسبوعية أكتوبر سنة ١٩٣٣م .

والمستقبل ، وتدفع الناس إلى حضارة تتضاءل أمامها الحضارات التى عرفت حتى اليوم ، لماذا لا ترجع مصر إذا أرادت هذا كله إلى مصـــر العربية التى تركت فينا دينا يضاهي كل دين ، ولغة تجاري كل لغة ، وثقافة تجاري كل ثقافة ، ولكن دعوته باطلة فى أساســها ، فــإن مصـــر اليوم عربية الروح ، مضرية اللسان ، محمدية الدين ، وحرى بالأزهر أن يزرى بالكرنك والأهرام " ، وهذا المضمار الذى جرى فيه د/ محمد حسين هيكل ، رافقه فيه غــيره مثل د/ طه حسين ، وكان له صولات وجولات مع كثير من المعارضين لدعوته [١] ، فمنذ البداية أيد " طه حسين " أستاذه " أحمــد لطفي السيد " ، وبدأ فى نشر المقالات التى تقعد فكرة " المصرية " التى دعا إليها أستاذه ، ويشترك فى المساجلات التى دارت بين " الجريدة " من وجهة وبين " اللواء " و " المؤيد " من جهة مقابلة ، فمثلاً نراه يقول " نستبشر بما تلقى دعوة المصرية فى مصـــر من كيد ومقاومة ، وبما يحتمل الداعون إليها من سفه الذين لا يعلمون ، فإن ذلك أية بينه على قوة الدعوة على المغالبة وصلاحها للبقاء " [٢] ، أما هم فلن يزيدهم إلا ثباتاً على ما رأوه ويســتطرد ونأخذ أنفسنا بتأييدها والزود عنها ، وندعو العقلاء

---

(١) راجع فصل " ساطع الحصري " فى الباب الثاني من هذا الكتاب .

(٢) الجريدة فى ٣٠ / ١ / ١٩١٣م .

مـــن أنصـــار مصر وشيعتها أن يشاركونا فى ذلك ، حتى تأخذ الفكرة نصيبها من الوجود الكامل والحياة الصالحة فإن رقي الأمة فى أطـــوارها يستحيل أن يكون رقياً معقولاً مؤدياً إلى الاستقلال إلا إذا بنى على الاعتراف بالشخصية المصرية ، والإذعان لحكمها على أساس متين " . [١]

وهو مع إخلاصه لتمحيص " القومية المصرية " يرد على الداعين إلى " الجامعة الإسلامية " ، " ... خصوم المصرية الطالبين للجامعـــة الإسلامية لابد لهم من إحدى اثنتين : فإما أن يكونوا راغـــبين فى أن تهدر الأمم الإسلامية شخصيتها ، ولا يعترف بما بينها من الفروق فى الأخلاق والعادات ، والألسنة واللغات وفى المـــنافع والمواطن ، بل تكتفي بهذه الجامعة المقدسة ، وهي جامعة الـــدين ، وإمـــا أن يكـــون مذهبهم اعتراف بهذه الفروق كلها وإعطاؤها حظوظها من الاعتبار ، والعناية مع اتخاذ الدين جامعة تدعو إلى المودة والإخاء " [٢] ، ويمضي إلى أن النهايتين يؤديان إما إلى غلبة أشدها قوة وأعظمها بأساً فتكون الأمة ، كياناً قاهراً لكـــيانات ضـــعيفة ، وإما أن يحتفظ كل كيان فيها بخصائصه ، ويكـــون الدين عاملاً من عوامل التواصي بالخير ، والتعاون على

---

(١) الجريدة في ٣٠يناير ١٩١٣م .

(٢) الجريدة فى ١٧ / ٣ / ١٩١٣م .

البر ، وذلك ما يدعون لـــه . [١]

كـــان هذا استهلال " طـــه حسين " للاتجاه الفكري نحو " القومـــية المصرية " ، وعلى الرغم مما شعرنا به من حرصه على أن تقوم تلك القومية منبعثة من " الحضارة الفرعونية " متابعاً فى ذلـــك لزميله " محمد حسين هيكل " ، إلا أننا نجده ينطلق بهذه " القومية " منطلقاً تغريبياً فى ثلاثينيات القرن الماضي ، ويرى أن تحديد هويتنا الثقافية لابد وأن يحدد وجهة ثقافية فيطرح القضية متسائلاً : أمصر من الشرق أم من الغرب ؟ ويراها مسألة خطيرة ومحـــيرة يقول " ولكن المسألة الخطيرة حقاً ، والتى لابد من أن نجليها لأنفسنا تجلية تزيل عنها كل شك وتعصمها من كل لبس وتبرؤها من كل ريب ، هي أن نعرف : مصر من الشرق أم من الغـــرب ؟ وأنا لا أريد بالطبع الشرق الجغرافي والغرب الجغرافي وإنما أريد الشرق الثقافي والغرب الثقافي ... ويمضي إلى القول .. فهل العقل المصري شرقي التصور والإدراك والفهم والحكم على الأشياء ؟ ... " . [٢]

وينتهـــي بعد مناقشة مستفيضة إلى أن " السبيل إلى ذلك

---

(١) الجريدة في ١٩١٣/٣/١٧م بتصرف كبير .

(٢) مســـتقبل الـــثقافة فى مصر ـــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣م جـــ١ ص١٢ ، ١٣ .

ليست فى الكلام يرسل إرسالاً ، ولا فى المظاهر الكاذبة والأوضاع الملفقة ، وإنما هي واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء ، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد ، وهي أن نسير سيرة الأوربيين ، ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ما يحب منها وما يكره وما يحمد فيها وما يعاب " [١] ، وهو يعلم مسبقاً أن دعوته تلك سوف ينقسم الناس حولها بين " فريق ينذر بالويل والثبور وعظائم الأمور " [٢] ، وفريق آخر من الناس " يشفقون ويخافون عن إخلاص وصدق ، وحسن مقصد ، وسلامة ضمير ... "[٣] على أنه يمضي للتخفيف من غلواء هذه الدعوة حيث يحترس قائلاً " أنا لا أدعو إلى أن ننكر أنفسنا ، ولا أن نجحد ماضينا ، ولا إلى أن نفنى فى الأوربيين ... وإنما أدعو إلى أن نثبت لأوربا ونحفظ استقلالنا من عدوانها وطغيانها ، ونمنعها من أن تأكلنا ... " [٤] .

ولاقت دعوة التغريب طريقها للنفاذ فى المجتمع ،

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر ــ مرجع سابق ج١ ص٤١ .

(٢) المصدر السابق ص٤٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) المصدر السابق ص٥٣ .

وانصرف الناس يقلدون فى القشور لا فى اللباب ، ولاقت فكرة " الجامعـــة الإسلامية " صفعتها الكبرى من خلال كتاب الشيخ " علي عبد الرازق ـــ الإسلام وأصول الحكم " الذى أثار ضجة كبرى بمحتواه ، فقد قرر أن " الواقع المحسوس الذى يؤيده العقل ويشـــهد به التاريخ قديماً وحديثاً أن شعائر الله تعالى ، ومظاهر ديـــنه الكـــريم ، لا تتوقف على ذلك النوع من الحكومة الذى يســـميه الفقهاء خلافة ، ولا على الذين يلقبهم الناس خلفاء"[١] وذلك لأن " الإسلام كما عرفت دعوة سامية ، أرسلها الله لخير هذا العالم كله ، شرقيه وغربيه ، عربيه وأعجميه ، رجاله ونسائه أغنيائه وفقرائه ، عالميه وجهلائه ، وهو وحدة دينية ، أراد الله أن يـــربط بهـــا البشر ، وأن تشمل أقطار الأرض كلها ، وما كان الإســـلام دعوة عربية ، ولا وحدة عربية ، ولا ديناً عربياً ، وما كـــان الإسلام ليعرف فضلاً لأمة على أمة ، ولا للغة على لغة ، ولا لقطر على قطر ، ولا لزمن على زمن ، ولا لجيل على جيل إلا بالتقـــوى " .[٢]

أمـــا اختصاص العرب فى نزول الإسلام بينهـــم فذلك

---

(١) الإسلام وأصول الحكم / علي عبد الرازق ـــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣م ، سلسلة " التنوير " ص٣٥ ، ٣٦ .

(٢) المصدر السابق ص٨١ .

راجـــع فى رأيه إلى أنه " كتاب عربي ورسول عربي ، فلا مناص بالطبع من أن تبدأ دعوة الإسلام ، بين العرب ، قبل أن تصل إلى غيرهـــم ولا مـــناص بالطبع من أن يكون العرب أول من تشق أذانهـــم دعـــوة ذلك البشير النذير ، وأول من يهيب بهم ذلك الداعـــي إلى الله وأول من يحاول أن يجمعهم على الهدى " [١] ، وعليه فإن " تلك الوحدة العربية التى وجدت زمن النبي ـــ عليه السلام ـــ لم تكن وحدة سياسية بأي وجه من الوجوه ، ولا كان فـــيها معنى من معاني الدولة والحكومة ، بل لم تعد أبداً أن تكون وحـــدة دينـــية خالصـــة من شوائب السياسة ، وحدة الإيمان ، والمذهب الديني لا وحدة الدولة ومذاهب الملك " . [٢]

" وقـــد لحق ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ولازال الكلام لعلـــي عـــبد الرازق ـــ بالرفيق الأعلى من غير أن يسمى أحداً يخلفه من بعده ، ولا أن يشير إلى من يقوم من أمته مقامه ، بل لم يشـــر عليه السلام طول حياته إلى شئ يسمى دولة إسلامية ، أو دولة عربية " .

وعليه فإن الدين الإسلامي " بريء من تلك الخلافة التى

---

(١) الإسلام وأصول الحكم ـــ مصدر السابق ص٨٢ .

(٢) نفسه ص٨٣ .

يـــتعارفها المســـلمون " [١] " ولا شئ فى الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى فى علوم الاجتماع والسياسة كلها ، وأن يهدمـــوا ذلك النظام العتيق الذى ذلوا له واستكانوا إليه ، وأن يبـــنوا قـــواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجت العقـــول البشـــرية ، وأمتن ما دلت تجارب الأمم على أنه خير أصـــول الحكـــم " [٢] ، وقد حاولت فى هذه اللقطات أن أقدم الأفكـــار التى بنيت عليها فكرة الكتاب ليستبين للقارئ كيف صـــدم هذا التصور علماء الدين والمجتمع ، وتوالت الردود على كلام الشيخ علي عبد الرازق كان الشيخ / محمد رشيد رضا فى طلـــيعة مـــن قصدوا لهذه الأفكار ، فقد نشر مقالاً فى جريدة " المـــنـــار "[٣] نـــبه الكـــتاب المسلمين فى الأقطار الإسلامية إلى ضرورة الرد ، وهاب بهم ألا يطالبوا الحكومة بالتدخل ، حتى لا يفهـــم أنـــه قصور منهم فى الرد ، وبالفعل توالت ردود العلماء التفصيلية على ما جاء فى الكتاب ، وشاركت جريدة "البلاغ"[٤] و " المنار " فى نشر مقالات تلح على عقاب المجترئين على الدين

---

(١) الإسلام وأصول الحكم ــ مرجع سابق ص٨٧ .

(٢) نفسه ص١٠٣ .

(٣) المنار ٢١ / ٦ / ١٩٢٥م .

(٤) البلاغ ٢٦ / ٦ / ١٩٢٥م .

ووقفت " السياسة الأسبوعية " [١] ورئيسها فى الطرف الآخر ، فهـا هي ذى تسخر من ردود العلماء ، وأصبح الناس فى أمره فـريقين ، فريق يمثله رجال الدين ويقودهم محمد رشيد رضا ، ويوسـف الدجوى ، وفى الجانب الآخر يقف مدافعاً طه حسين وهـيكل والعقـاد ، وأحمـد حافظ ، وسلامة موسى ، وتبارت المجـلات فى نقـل أفكـارهم الداعية إلى تأييد الشيخ علي عبد الرازق ، " إن كل أمة إسلامية حرة فى انتخاب من تريده حاكماً علـيها ، وسواء كان الأستاذ / علي عبد الرازق قد وفق إلى أن يسند نظريته هذه إلى الدين ، أم لم يوفق ، فإن هذه النظرية تتفق وأصول الحكم فى القرن العشرين الذى يجعل السيادة للأمة دون سواها من الأفراد مهما كانت ولادتهم أو ميزاتهم الأخرى " [٢] " وقفـنا إلى جانب الكتاب ، لا لأننا نعتقد أن كل ما قاله حضرة القاضي علي عبد الرازق وأمثاله قرين الصواب وخال من الخطأ بـل لأن قـيام بعض المفكرين ووقوفهم موقف الانتقاد والشك يشـحذ الهمم ، ويغري بالبحث والتنقيب " [٣] ، ويعلق سلامة موسى ـ لعلي عبدالرازق الحق فى أن يكون حراً يرتأى ما يشاء

---

(١) السياسة الأسبوعية ٧ / ٧ / ١٩٢٥م .

(٢) الهلال عدد يوليو " ثمود " ١٩٢٥م .

(٣) المقتطف أغسطس ١٩٢٥م .

من الآراء دون أن يقيد بأي قيد سوى الإخلاص [١] ، ويتساءل " أحمد حافظ ، وهل لمصر نظام هو الدستور تحكم على موجبه ؟ أم لهـا غـير الدستور نظاماً خفيا تمتد خلال ظلماته أيد تفتك بما قرر الدستور من حقوق " [٢] ، وإزاء هذه المستجدات كتب الشـيخ / محمـد رشيد رضا يقول " لا يجوز لمشيخة الأزهر أن تسـكت عنه لئلا يقول هو وأنصاره إن سكوتهم عنه إجازة أو عجز عن الرد عليه " [٣] .

وأمـام هذا الموقف قدم كثير من طلاب الأزهر وعلمائه عرائض لمجلس الوزراء ولشيخ الأزهر ، تبدى استياءها وتذمرها وإزاء ذلك بحثت مشيخة الأزهر الأمر ، وقررت بالإجماع إخراج الشيخ علي عبد الرازق من زمرة العلماء [٤] ، على أن الرواية لم تنته فصولها بعد ، فاستمر تفنيد الكتاب وأفكاره قائماً ، من ذلك مـا كتـبه الشيخ / محمد الخضر حسين فى كتابه " نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم " واستمرت السخرية من جانب مؤيديه فهـذا طـه حسين يخاطب " على عبدالرازق " فيقول :

---

(١) الهلال أكتوبر ١٩٢٥م .

(٢) كوكب الشرق ١٧ / ٨ / ١٩٢٥م .

(٣) المنار عدد ٢١ يونيو سنة ١٩٢٥م .

(٤) تفاصـيل الحكم والقانون المستند إليه ـ يرجع إلى الوثائق الملحقة بكتاب " الإسلام وأصول الحكم " لعلي عبد الرازق . تحقيق د/ محمد عمارة .

" ... تعـــال نضـــحك .. فقـــد كـــان كـــتابك مصدراً لتغير الأرثوذكسية فى الإسلام ، ولست أنت الذى غيرها أيها الطريد المسكين ، وإنما غير الذين طردوك وأخرجوك من الأزهر ، نعم ، كان أهل السنة ومازالوا يرون أن الخلافة ليست ركناً من أركان الـــدين ، وأن الشـــيعة فسقوا حين عدوها كذلك ، فلما قلت للـــناس فى كتابك ما أجمع عليه أهل السنة ، غضب عليك أهل الأزهـــر ، ورمـــوك بالابتداع والإلحاد ، وأخذوا يقولون : إن الخلافة أصل من أصول الدين ، وقد كنا نعلم أن القاهرة مركز أهل السنة ، وموطن الأشاعرة ، ومستقر الأرثوذكسية الإسلامية ، فســـبحان مـــن يغير ولا يتغير ... " [١] ويمضي فى سياق هذه الســـخرية المـــرة والـــتهكم اللاذع إلى نهاية المقال ، وتدخلت السياســـة إلى جانب الرأي العام مرة ، والشيخ تارة أخرى وفق هوى الأحزاب وميول الخديوي ، غير الذى ينبغي أن نسجله أن الشـــيخ قـــد تراجع عن رأيه [٢] ، ورفض أن يطبع الكتاب مرة أخـــرى فى حـــياته ، أو بعـــد مماته ، لكن الكتاب لازال حجة للمســـتغربين والعلمانيين ، المنادين بفصل الدين عن السياسة ، على أن الدعوة الإقليمية فتئت تحاول الخلاص من فكرة الجامعة

---

(١) السياسة الأسبوعية ١٤ / ٨ / ١٩٢٥م .

(٢) مجلة رسالة الإسلام عدد يوليو ١٩٥١م .

الإسلامية أو الوحدة الإسلامية وتتوجه صوب القومية الإقليمية ، حتى رأينا رياحاً قادمة من الشرق العربي ، وبخاصة من الشام ، توجه الجهود فى كل قطر ، وجهة العمل وفق منظومة عربية لا ترمي إلى الاقتصار على العمل للسياسات المحلية والإقليمية ، وهي الفكرة التي استنبها وآمن بها " ساطع الحصري " من خلال " أراء وأحاديث فى الوطنية والقومية " نشر على هيئة مقالات ثم جمعها فى القاهرة سنة ١٩٥١م ، تحت العنوان المشار إليه ، ففي أحد مقالاته " العرب أمة المستقبل " يقرر فيه أن الوحدة العربية حقيقة راهنة وحقيقة تاريخية ، وأن تمزيق الأمة العربية إلى شعوب وقبائل لا يدل على فرقتها ، ولا على افتقارها إلى الحيوية ، وإنما هو مجرد ظاهرة من ظواهر ضغط الأجناس الأوربية على الشرق ، وهذه الفرق لن تمنع الأمة العربية من أن تبرز بالقوة التى هي بها جديرة ، وأن حاجة العرب إلى الوحدة لاشك فيها ، كما لاشك فى حاجة العالم إلى العرب ، وطلب أن يوجه العالم بصره إلى أمة المستقبل الأمة العربية "[1] ، وقد رأى " طه حسين " أن يقتصر ذلك على " توحيد برامج التعليم فى جميع الأقطار العربية ، وتسهيل التبادل الثقافي بينها ... ومن

---

(١) الإسلام والعروبة د/ محمود كامل . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م ص٢٣٨ .

المفيد أن يكون تعاوناً اقتصادياً ، وحتى تحالفاً عسكرياً ، لا وحدة سياسية وذلك انطلاقاً من تأييده لفكرة " القومية المصرية " الموغلة فى أحقاب التاريخ إلى العصور الفرعونية ، يقول " ... إن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين ، وأنها ستبقى كذلك بل يجب أن تبقى وتقوى ، ولا تطلبوا من مصر أن تتخلف عن مصريتها ، وإلا كان معنى طلبكم اهدمي يا مصر أبا الهول والأهرام ، وتغاضى عن جميع الآثار التى تزين متاحفك ، ومتاحف العالم وانس نفسك واتبعينا " [1] ، وقد فند "الحصري" ذلك بقوله " دعوة المصريين إلى الاتحاد مع سائر الأقطار العربية لا تتضمن بوجه من الوجوه حثهم على التنازل عن المصرية ، إن دعاة الوحدة العربية لم يطلبوا من المصريين لا ضمنا ولا صراحة أن يتنازلوا عن مصريتهم ، بل يطلبون إليهم أن يضيفوا إلى شعورهم المصري الخاص شعوراً عربياً عاماً ، وأن يعملوا للعروبة بجانب ما يعملونه للمصرية ، إن فكرة الوحدة العربية لا تستند إلى العاطفة وحدها بل تستند إلى المنفعة أيضاً ... أعتقد أن منفعة مصر فى هذه القضية ليست من المنافع البسيطة الطفيفة ، بل هي من المنافع الهامة الحيوية وإذا كان الذين يقدرون أهمية هذه المنافع

---

(١) الإسلام والعروبة ــ مرجع سابق ص٢٤١ ، نقلاً عن " آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية " للحصري .

لا يـــزالون قلـــيلين الـــيوم فلاشك فى أنهم سيكثرون يوماً من الأيام " . [١]

وقـــد تناولـــنا فى فصل سابق ما دار بين د/ طـــه حسين وســـاطع الحصـــري ، حول قضية الوحدة العربية ، وقد سارت السياسات تجاه ما عرف بالقومية العربية ، فأنشئت جامعة الدول العـــربية ، ولكن الفكر المصري لا زال يصطرع إلى الآن حول محور الهوية ولازالت تطل من الرؤس بقايا تلك المعارك ، وتحمل الأدمغة توجهات سياسية مختلفة إسلامية تدعو إلى إعادة الوحدة الإســـلامية بـــين شعوب الأرض المسلمة قاطبة ، وهذه الأفكار مضيق عليها ، ولا تتخذ من الأساليب العلمية الصحيحة الموصلة إلى تحقـــيق أهـــدافها ، واتجاه قومي يبكي على اللبن المسكوب وعلى ما آل إليه حال العرب اليوم ، طمعاً فى يوم قريب تجتمع فـــيه كلمـــتهم ، وهيهات أن تتحقق الأمنيات بالتمنيات ، وأما الفكـــر القومي الداعي إلى استقلالية مصر وقوميتها ، فهو لازال يـــبحث عـــن هـــذه الاســـتقلالية التى تحققت بفعل الظروف والأحداث عن أدوات فاعلة تحقق نجاح الرؤية ، وهي بعد تنظر فى الأفق تحاول استشراف المستقبل .

---

[١] الإسلام والعروبة ــ مرجع سابق ص٢٤٣ .

٢ - اللغـــة العربيـــة

لم يكـــن خوضـــنا فى قضـــية الهوية وتفصيلها فى الفصل الســـابق مـــن باب الترف الفكري أو الهرطقة السياسية ، وإنما لعلمنا أنه سيترتب على قضية الهوية ، قضايا مهمة فى حياتنا ذات صـــلة بقضية الهوية ، وهي قضية " اللغة العربية " ، وقد أخذت هذه القضية وما أثير حولها من مشكلات جانباً مهماً فى الصراع بـــين مفكري القرن العشرين ، ونحن هنا سوف نتكشف أوجه الصـــراع وجوانبه ، وأراء المفكرين كل فيما طرح وسنتبين أن كثيراً ممن طرحوا قضية استقلال القومية المصرية ، بوصفها هوية المصريين لم تكن الحاجة إليها ماسة عندهم إلا للطعن أو لتغريب لغة " القـــرآن " .

علـــى أن هذه الدعوات بدأها المستشرقون ، فقد أصدر المستشـــرق الألمـــاني " ولهام سبيتا " كتاباً عام ١٨٨٠م بعنوان " قواعد اللغة العربية العامية فى مصر " وكان يومئذ مديراً لدار الكـــتب المصـــرية ، معتمداً على ما كان من أمر اللاتينية التى تفرعت منها اللغات الأوربية المختلفة كدليل على فكرته ، وجاء فى معـــرض تعريضه بالفصحى " أن نشوء العامية سببه فى الأعم

الأغلب صعوبة الإعراب ، وليس من طبيعة الأشياء أن يتكلم الرجل غير المثقف لغة معربة " [١] ، ولا يخفي " سبيتا " رغبته الشخصية فى ذلك مغلفة بحرص على النشاط الإنساني والأدبي فى الحياة المصرية ، " وأخيراً أجازف بالتصريح عن الأمل الذى راودني على الدوام طوال مدة جمع هذا الكتاب ، وهو أمل يتعلق بمصر نفسها ، ويمسى أمراً هو بالنسبة إليها ، وإلى شعبها يكاد يكون مسألة حياة أو موت ، فكل من عاش فترة طويلة فى بلاد تتكلم بالعربية يعرف إلى أى حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها ، بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة ، وبالتزام الكتابة بالعربية الكلاسيكية القديمة ، لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور ، لأن الطبقة المتعلمة القليلة العدد هي وحدها التى يمكن أن يكون الكتاب فى متناول يدها " [٢] ، إذن فالنية مبيتة ، لم ينقصها إلا الظرف المناسب ، وشغل نفسه بدراسة العامية فى محاولة لوضع قواعد لها كي تصبح لغة بديلة للفصحى فى التعليم والثقافة والأدب ، على أن تكتب بحروف لاتينية وبذا

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ــ محاضر الجلسات / د ١٠ ح ٧ للمؤتمر ص٤٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، لغتنا والحياة / بنت الشاطئ ــ القاهرة / معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٩م ص١٠١ وما بعدها .

يـــتحقق له ما أراد ، الخلاص من " الفصحى " شفاهة وكتابة ، واســـتغل مفردات إبداعية باللغة العامية مثل " هز القحوف فى شـــرح قصيدة أبى شادوف " للشيخ يوسف الشربيني ، وأزجال الشـــيخ حســـن الألاتي ، وقد كان فيها ما يدعو فى معانيها إلى التوعـــية والتثقيف للتأكيد على أهمية العامية ودورها ، وقدرتها علـــى أن تأخـــذ مجالها الحيوي فى التعليم والثقافة والأدب [١] ، وللأســـف تلقف " المقتطف " هذه الدعوة ، بل " اقترح كتابة العلوم باللغة التى يتكلمها الناس فى حياتهم العامة ، ودعا الناس إلى بحث اقتراحه ومناقشته " [٢] ، وفيما يشبه العمل المنظم جاء الاحتلال الإنجليزي ، فاستغل هذه الدعاوي ، وحمل الفصحى ما وصـــلت إلـــيه الأمة العربية من ضعف وتخلف ، وأصدر القرار الـــوزاري عـــام ١٨٨٩م ، القاضـــي بأن تكون لغة التعليم فى المـــدارس المصرية هي اللغة " الإنجليزية " ووجهت كل البعثات التعليمية إلى إنجلترا ، وأغلقت مدرسة الألسن " . [٣]

وتـــتم فصـــول الرواية فى سنة ١٩٠١م ، عندما كرر " ســـيلدون ولمور " القاضي الإنجليزي الدعوة من خلال نشره

---

(١) لغتنا والحياة ـــ مرجع سابق ـــ ص١٠٣ وما بعدها .

(٢) التنكيت والتبكيت ، العدد الخامس فى ١٠ / ٧ / ١٨٨١ ، ص٧ .

(٣) لغتنا والحياة ـــ مصدر سابق ـــ ص١٠٣ وما بعدها .

لكتاب " العربية المحكية فى مصر " فقد حاول كسلفه صياغة قواعد لغوية للعامية المصرية ، ورأى كذلك أن تكتب بالأحرف اللاتينية . [١]

وكان " وليم ولكوكس " قد نشر قمة خطيرة وجهها إلى العربية ، وربط بين ارتباط العرب بلغتهم الفصيحة وبين تخلفهم فى ميادين الاختراع والابتكار ، ورأى أن العامية هي لغة التقدم فى مجال الاختراع والاكتشاف ، على أنه لم يوضح ما علاقة تخلف العرب بلغتهم الفصحى ، جاء ذلك فى مقال نشره فى مجلة الأزهر الذى كان يرأس تحريرها سنة ١٨٩٣م [٢] ، بل أعلن أن مجلته سوف تنشر البحوث العلمية باللغة العامية ، ودعا المصريين إلى أن تتجاوز العامية مرحلة الفلكلور والفنون الشعبية إلى ميدان

---

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة سنة ١٩٥٦م ص٣٦٠ .

(٢) ملاحظة : وهي غير مجلة الأزهر التى يصدرها [الأزهر الشريف] فى الحاضر ، وهذه المجلة كان قد أصدرها " إبراهيم مصطفى " ناظر دار العلوم والطبيب حسن رفقي ، وسمياها " الصحة " ثم عدلا هذه التسمية ، وسمياها " الأزهر " وأعطوا امتياز تحريرها إلى مستر " ويلكوكس " ــ تفاصيل ذلك فى " الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي " سامي عزيز ، القاهرة ١٩٦٨ ص٤٩١ وما بعدها .

البحث العلمي فى الهندسة والفلك والرياضيات . [١]

وقـــد نفر المصريون فى نهاية القرن التاسع عشر من هذه الدعـــوات " فأصـــدر نفر منهم مجلة علمية مضادة للأزهر هي " مجلـــة المهـــندس " لنشـــر البحوث العلمية والرياضية باللغة الفصحى التى زعم " ولكوكس " أنها لا تصلح لغة للعلوم " [٢] بـــل وزيـــادة فى الـــتحدي أصروا على كتابة بحوثهم فى الأزهر بالعربية الفصحى مما أثار حنقه وغيظه وأعلن احتجاب الأزهر [٣] وخفتت بعدها دعوتـــه .

وفى مطلـــع القرن العشرين تتجدد الدعوة ، ولكنها هذه المرة على أيدي المصريين وكان فى مقدمة المتحمسين للدعوة إلى العامية " سلامة موسى " و " أحمد لطفي السيد " و " عبدالعزيز فهمي " ، وهم فى دعواتهم تلك كانوا يتصايحون بأنهم إنما يريدون خـــير اللغة وخير الوطن ، فإذا كان " لطفي السيد " من أوائل المصـــريين الـــذى حملوا لواء الدعوة إلى قبر الفصحى وإحلال العامـــية محلها من خلال التقريب بين الفصحى والعامية المصرية

---

[١] المرجع السابق .

[٢] لغتنا والحياة ــ مرجع سابق ص١٠٥ .

[٣] الأزهر عدد ١٠ فى أكتوبر سنة ١٨٩٣م عن " لغتنا والحياة " مرجع سابق ص ١٠٩ .

خصوصاً انطلاقاً من رؤيته " مصر للمصريين " ، وإحياء القومية المصرية ، كما سبق وأن تناولنا ذلك فى الفصل السابق ، ولم يجد حرجاً فى استخدام الكلمات العامية فى أساليبنا العربية الفصيحة والاقتصار على العامية المصرية لتمصير اللغة [١] .

أما " سلامة موسى " فكان أكثر شراسة على لغة القرآن فاتهمها بالجمود وعدم قدرتها على مسايرة العصر ، وتهكم عليها تهكماً سخيفاً ، يقول " ورثناها من بدو الجاهلية فى عصر الناقة ويراد لنا أن نتعامل بها فى عصر الطائرة ، وحين تحرم لغتنا من كلمات الثقافة العصرية ، تحرم الأمة أيضاً المعيشة العصرية ، فنحن مازلنا نعيش بكلمات الزراعة ، ولسنا نعرف كلمات الصناعة ، ولذلك فإن عقليتنا عقلية جامدة متبلدة تنظر إلى الماضي ، حتى إننا نؤلف فى ترجمة " معاوية بن أبى سفيان " فى الوقت الذى يجب أن نؤلف فى ترجمة " هنرى فورد ، عبر الصناعة فى عصرنا " .

فاللغة العربية لغة بدائية ودليله " أننا نستعمل الفعل "أحصى" بمعنى عدّ ، فإنه مشتق من الحصا ، أى صغار الحجر ، وذلك لأن الإنسان البدائي كان يجعل العد بالأرقام ، فكان إذا شاء مثلاً أن يعرف ما عنده من خراف ، وصنع فى جعبته عن

---

[١] محاضر جلسات " مجمع اللغة العربية " مصدر سابق د١٤ ح٧ ص٣ ، ٤ .

كل خروف حصاة " . ويمضى فى استخفافه باللغة العربية فيقول عن الإنجليز " إنهم يفرقون بين نوعين من الحب باستعمالهم كلمتى " Love " و " Like " على حين لا نجد فى لغتنا غير كلمة"أحب" نطلقها على الحب البيولوجي ، وحب الملوخية نطلقها عليها جميعا كالمتوحش حين يسمى ما زاد على العشرة : كثير " ، ومن هنا فهو يدعو إلى " لغة عامية تتيح لنا التفكير المنطقي كما لو كانت كلماتها أرقاماً تنقل المعنى من الذاتية إلى الموضوعية "[١] ومن ثم " يجب ألا يكون للمجتمع لغتان ، إحداهما كلامية أى عامية ، والأخرى مكتوبة أى فصحى ، كما هي حالنا فى مصر وسائر الأقطار العربية ، لأن نتيجة هذه الحال أن اللغة المكتوبة تنفصل عن المجتمع فتصبح كأنها لغة الكهان التى لا تتلى إلا فى المعابد ، وينقطع الاتصال الفسيولوجي بينها وبين المجتمع فلا تتطور ... " ومن هنا فإن " المجتمع الصناعي كان جديراً بأن يحدث مجتمعاً مستقبلياً يكتب مؤلفوه بلغة الشعب ، وتتنقل اهتماماتهم الذهنية من التأليف عن قدماء العرب إلى التأليف عن مشكلاتنا العصرية " ، ويرى أن تعلم البلاغة وأساليب التعبير الفني فيما نعرفه باللغة الأدبية يرى أن ذلك من قبيل الترف الفني

---

(١) البلاغة العصرية واللغة العربية ، سلامة موسى ، مرجع سابق ص٤٤ وما بعدها .

الـــذى يشـــغل المبدع عن التفكير ، " إننا نسئ إلى اللغة العربية وإلى شـــبابنا أيضاً ، إذ أننا نعلمهم مبادئ البلاغة العاطفية بالمجاز والاســـتعارة والتشبيه ، لكي يصلوا منها إلى التعبير الفني أو إلى الـــرفاهية الذهنية بدلاً من مبادئ البلاغة العقلية بقواعد المنطق حـــتى يصلوا إلى دقة التعبير وتوقي الالتباس ، والنتيجة من هذه الـــبلاغة العاطفية هي الضرر لأنها تحدث لهم اتجاهاً نحو التزاويق والبهارج ، فإذا طلب إليهم التفكير عجزوا " [1] ، على أن هذه الادعاءات التى قدمها سلامة موسى فى صحيفة دعواه ضد اللغة تجعل الباحث لا يستطيع الوقوف موقف المحايد ، حتى يأتي الرأي المضـــاد ، فـــيحدث التوازن فى المعركة ، فصحيفة دعواه باطلة وهذه هي دفوعاتنا .

أولاً : درج من يتصدى للكتابة عن الدين الإسلامي ، أو العـــربية ، أن يقرن بين ضعفنا وبين ديننا ولغتنا ، وفى هذا تحيف ظاهر ، وافتئات جائر .

ثانياً : أن سلامة موسى فى كل ما قدم كان كلاماً إنشائياً أجوفاً لم يشفع بالدليل الدامغ .

ثالثاً : أن الدليلين الذين قدمهما للتأكيد على بداوة الفصحى

---

(١) مـــا سبق من مقولات عن سلامة موسى هي من " البلاغة العصرية واللغة العربية " مرجع سابق ص٤٤ ، ٥٥ ــ ٦٩ ، ومواضع أخرى من الكتاب .

وفقرها وهم وقع الكاتب فيه ، نقول كون الفعل "أحصى" بمعنى عد مشتق من الحصا ، فليس دليلاً على البدائية فمعروف أن اللغة بدأت بالتعبير عن المحسوسات ، ثم مع التطور الدلالي لها حملت معاني معنوية ، وظلـــت تحتفظ بالدلالتين معاً ، أو غلب أحدهما على الآخر ، أو تمخضـــت لدلالـــة واحدة غلبت ، وفى الغالب تكون الغلبة للدلالة المعـــنوية ، وإن لم تقطـــع صلتها بدلالتها الحسية الأولى ، وليست العـــربية فى ذلك بدعاً بين اللغات ، فاللغة الإنجليزية مثلاً تستخدم " Calculate " بمعـــنى" يحصـــي " وهي مأخوذة من الأصل اللاتيني " Culculus " بمعـــنى الحجر الصغير أو الحصاة ، فهل هي لغة بدائية مـــتخلفة أيضاً ؟ وهي اللغة التى استشهد بها على سموقها فى موازنة بينها وبين العربية ، حين ذكر أنهم يستعملون كلمتي " Love " و " Like " للدلالـــتين علـــى نوعين من الحب فى الوقت الذى لم يجد فى العـــربية غير كلمة " أحب " ، وفاته أن العربية من أغنى لغات العالم بمفـــرداتها ودقة هذه المفردات ، فعندنا للتدليل على درجات الحب المخـــتلفة " الهـــوى ، والكلـــف ، والعشق ، والصبابة ، واللوعة ، والشغف ، والجوى ، والتيم ، والتبل ، والتدليه ، والهيوم " [١] فهل هذا التوجه من " سلامة موسى " لجهل بالعربية ، أم لغرض فى نفسه وقد لاقت دعوة " عبد العزيز فهمي " قبولاً عند " سلامة موسى "

---

(١) فقه اللغة وسر العربية،أبو منصور الثعالبي ـــ تحقيق (إبراهيم الإبياري ـــ مصطفى السقا ـــ عبد الحفيظ شلبي)ط٣ ـــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ص١١٧ .

حين قدم مشروعه لتيسير الكتابة [١] بالعربية عن طريق استخدام الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية فمهما بذلنا من الجهد — فى رأي عبد العزيز فهمي — فى تعلم العربية فلازالت الصعوبة فى تعلمها وتعليمها قائمة [٢] ، ومن ثم فإن الحل فى رأيه يأتي من استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، فيبتهج سلامة موسى لذلك ويرى " أن الخط اللاتيني هو وثبة فى الفور نحو المستقبل ، ولكن هل العناصر التى تنتفع ببقاء الخط العربي والتقاليد ترضي بهذه الوثبة " [٣] ، وفى الحقيقة قد شجع سلامة موسى وأشاد بكل دعوة تخرج بالعربية عن مسارها ، وراح ينفخ فى هذه الدعوات ، ويشيد بأصحابها " قلما نجد الشجاعة للدعوة إلى الإصلاح الجرئ إلا فى رجال نابهين لا يبالون الجهلة والحمقى ، مثل قاسم أمين ، وأحمد أمين ، فى الدعوة إلى إلقاء الإعراب ، أو مثل عبد العزيز فهمي حين يدعو إلى الخط اللاتيني ، والواقع أن اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة المستقبل .

ولو أننا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر إلى مقام تركية ، التي أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها ، وفتح لها أبواب

---

(١) محاضر الجلسات د/١٠ ح٨ للمؤتمر ص٢٧٩ — ٣١٠ ، وقد نوقش هذا المشروع فى الدورة نفسها ح١٥ للمؤتمر ص٤٠٤ — ٤٢٦ .

(٢) محاضر الجلسات د/١٤ ح٧ ص٤٧٧ بتصرف .

(٣) البلاغة العصرية واللغة العربية . مرجع سابق ص١٣٣ .

مستقبلها " [١] ، أما " أحمد أمين الذي استحسن " سلامة موسى" جـــرأته ، فقد دعا أولا إلى دمج الفصحى والعامية ، وتخليق لغة وسطى يسهل تعلمها وفهمها ، ورأى أنه " لا أمل في إنجاح الأمم العربية إلا إذا اتحدت لغتها العامية ، ولغتها الفصحى ، ومادامت لغـــة الـــثقافة في ناحية ، ولغة الكلام في ناحية أخرى ، فسيظل الحـــال على ما هو عليه ، ألوف متعلمون ، وملايين جهال ... فمفتـــرض أن تنزل العربية دركات ، وترتفع العامية دركات ، حتى تلتقيان فتكون هناك لغة واحدة يمكن بها نهوض الأمم العربية الـــتي تنتظر منا أن نفعل شيئا على حين أننا لم نقم بشيء " . [٢] على أنه وجد صعوبة تحقيق هذه الغاية واردة ، فأعاد رأيه وفكر في وجود لغتين للخاصة لغة ، وللعامة لغة أخرى ـــ يقول " وقد فكرت في الأمر زمنا ، ورأيت أنه لا معدي لنا عن لغتين إحداهما للعامة ، والأخرى للخاصة ، على أن نجتهد في التقريب بينهما ، فننقـــي العامـــية من الخرافيش ـــ على حد تعبير ابن خلدون ـــ وبهذه التنقية تصبح العامية لغة فصحى ينقصها الإعراب ، وتبقى بجانـــب هـــذه اللغـــة غـــير المعـــربة لغة للمثقفين يحتفظ فيها

---

[١] البلاغة العصرية واللغة العربية ـــ مرجع سابق ص ١٣٤ .

[٢] محاضر الجلسات د / ١٠ ج ١٤ للمؤتمر ص ٣٩٤ .

بالإعراب"[١] وعد ذلك خطوة أولى في سبيل التوحيد بين اللغتين وهـــو في بحثه يرى أن الإعراب هو العقبة الكؤود ، التي ينبغي الـــتخلص مـــنها فهي في رأيه " ... أهم عائق يحول دون تعميم التعلـــيم ودون فهم العامة للأدب العربي " [٢] ... " فنحن نعلم الطلـــبة نحـــو ثلاثة عشر عاما تعليما مجهداً ومع ذلك قد يكون واحد منهم في الألف هو الذي يجيد الإعراب والكتابة الصحيحة والقـــراءة الصحيحة . فكيف نتطلب ذلك في الثقافة العامة التي تعلم في زمن محدود " [٣] . واستدل على رأيه بنص نقله عن "ابن خلـــدون " جـــاء فيه أنه " فى الإمكان الاستغناء عن الإعراب والاستعاضـــة عنه بقوانين تحل محله . مثال ذلك ـــ على ما أفهم ـــ والكلام لأحمد أمين ـــ أن رفع الفاعل يدل على الفاعلية ، ونصب المفعول ـــ يدل على المفعولية " ولذلك يجوز في الفصحى تقـــدم المفعـــول على الفاعل ، فإذا حذفنا الإعراب ، فلابد من قانـــون جديـــد يدل على الفاعلية والمفعولية كأن تقدم من فعل الفعل ملتزما ذلك ، فتقول " محمد أقرض على " ، فهذا مثل من

---

[١] محاضر الجلسات د / ١٤ ج ٧ للمؤتمر ص ٤٧٢ .

[٢] فيض الخاطر / أحمد أمين لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠ القاهرة .

[٣] المصدر السابق : ج٦ ص ٧٧ .

أمـــثلة القوانين التي يقتضيها حذف الإعراب " [١] ، ويؤكد أن التســـكين ليس بدعا في اللغات " فلغة الوقف " تسكين الآخر " هـــي التي عمت الإنجليزية والفرنسية والطليانية ، وهي الأصلح للزمان لسهولتها ومناسبتها للجمهور " [٢] .

وكـــان " قاســـم أمين " قد سبقه إلى هذه الفكرة في القول بصـــعوبة الإعراب ، وضرورة التخلي عنه فيحكى قائلا " لم أر بين جمـــيع من عرفتهم شخصا يقرأ كل ما يقع تحت نظره من غير لحن . ألـــيس هـــذا برهاناً كافياً على وجوب إصلاح العربية " ويمضي في تقديم وجهته بالتخلي عن الإعراب " لي رأي في الإعراب أذكره هنا بـــوجه الإجمـــال ، وهو أن تبقى أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك بأي عامل من العوامل . بهذه الطريقة وهي طريقة جميع اللغات الإفرنكية ، واللغة التركية أيضا ، يمكن حذف قواعد النواصب والجوازم والحال والاشتقاق إلخ بدون أن يترتب عليه إخلال باللغة ، إذ تبقى مفرداتها كما هي " [٣] ، وعلى اختلاف أهداف وتوجهات المؤيدين للعامية

---

[١] فيض الخاطر ـــ مرجع سابق ص ٧٨ .

[٢] المرجع السابق ج٦ ص ٧٩ .

[٣] تـــراجم مصـــرية وعربية . د / محمد حسين هيكل . مطبعة السياسة والسياسة الأسبوعية القاهرة بدون تاريخ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

ولمناقشة هذه الآراء المطروحة وتفنيدها يرجع إلى : مستقبل اللغة المشتركة ـــ د/ إبراهيم أنيس ـــ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٠ القاهرة ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ـــ عباس حسن ـــ القاهرة ١٩٦٦ .

فقد فيض الله للفصحى من يزود عن حماها فطه حسين برغم توجهه إلى القومية المصرية ، واعتناقه الكثير من أفكار " لطفي السيد " إلا أنه يدافع عن اللغة دفاعا مستميتا ، استمع إليه يقول " ليس من الحق في شيء أن اللغة العربية الفصحى قد ماتت أو أشرفت على الموت ، بل ليس من الحق أن اللغة العربية الفصحى قد أدركها ضعف أو فتور ، أو قصور ، وآية ذلك أن الناس يعبرون بها عن ذات أنفسهم حين يكتبون ما يريدون ، أن يكتبوا في الموضوعات المختلفة ، لا يجدون في ذلك حرجا ، ولا يحتملون فيه عناء يؤلفون الكتب ، ويترجمون ما يؤلف غيرهم من الأجانب في أقطار المشرق والمغرب وينشرون الصحف والمجلات ، والناس يقرءون ما تنشره الصحف والمجلات لا يجدون بذلك بأسا ، ولا يشكون منه جهداً ، وآية ذلك أيضا ، أن الناس ينشرون الكتب القديمة ، التي كتبت بالعربية الفصحى في عصورها المختلفة ، فيقرؤها أصحاب الثقافة العميقة الواسعة ، وأصحاب الثقافة المتوسطة الضيقة ، وأكثرهم لا يقرؤها مكرها على قراءتها ، وأكثرهم كذلك لا يقرءون بالمجان ، وإنما ينفق في قراءتها الوقت والمال ، والجهد عن حب لها ، ورغبة فيها ، وحرص عليها .

وليس هذا شأن اللغة التي أدركها الضعف والفتور أو القصور ، وإنما شأن اللغة التي مازالت حية قادرة على الحياة ،

قـــادرة علـــى مغالبة الأحداث التي تغير حياة الناس من يوم إلى يـــوم"[١] ومـــن هنا فقد تصدى للموقف من الإعراب ورأى أن صـــعوبته صعوبة متوهمة ، " لا أريد الكلام في مسألة الإعراب ، إذ يخيل إلي أن هذه المسألة وهم يوشك أن يكون خوفا .... ولا أظن أن الإعراب كان مصدر عسر في الفهم والتفاهم ، ولا أظنه ســـيكون كـــذلك ، وخاصة ونحن نعيش في عصر يجب فيه نشر التعليم بحكم القانون ، وهذا يتطلب التعليم بالفصحى ، وبذلك يـــتقارب ما بين الطبقات من ناحية الثقافة " ، ويمضي إلى القول بـــأن ما يبذل من جهد في سبيل تيسير تعلم الكتابة والنحو هو الســـبيل إلى هذا التقارب وفي النهاية فإن " ... هذا يدعونا إلى شـــيء من التفاؤل والثقة وانتظار الوقت الذي لا يجد فيه العامة صـــعوبة ذات خطـــر في سماع اللغة العربية ، ولا يجد فيه كتاب العربية صعوبة ذات خطر في الحديث إلى العامة " .[٢]

أما العقاد ، فذهب إلى أن التقريب بين العربية الفصحى والعامية ، لن يعدوا أن يكون أمرا نظريا ، أما الواقع " فالإنسان يحـــتفل بكلامه إذا أراد له معنى الدوام أو الارتفاع ولا يحتفل به

---

[١] خصـــام ونقـــد د / طه حسين . دار العلم للملايين ـــ بيروت ط١ ١٩٨٢ ، ص ١٨٧ ـــ ١٨٨ .

[٢] محاضر الجلسات د / ١٤ ج٧ للمؤتمر ص ٤٧٣ وما بعدها .

إذا أراد قضـــاء مصلحة " ويضيف " فهناك موضوعات لا يمكن التعبير عنها إلا بالفصحى لارتفاعها عن عقول العامة ، وهيهات المســـاواة بين الخاصة والعامة في العقليات فالفارق بينها باق لا يزول ... وعلى أية حال لا يمكن أن يعبـــر بالعامية عن موضوع علمي والاعتراض على اللغة المبذولة قائم ، لأن هناك لغة تختص بالموضـــوعات التي ترتفع عن عقول السواد ، وأن البدوي الذي يعـــرف العربية معرفة صحيحة لو كتبت له " المدينة الفاضلة " بالفصـــحى التي يتكلم بها لما فهمها ، والسبب راجع إلى الخاصية في الخاصة دون العامة " [1] ومن هنا لا يمكن القضاء على الفارق بين الفصحى والعامية ، وكذلك ليست الصعوبة في الإعراب "أنا لا أجـــد في الإعراب صعوبة لا على العامة ولا على الخاصة ، لا في الكـــتابة ولا في القـــراءة ، فأما القراءة فالإعراب فيها تيسير للخاصـــة وليس فيه تصعيب على العامة ، فالعامي يقرأ المعرب وغيره فيفهمها بدرجة واحدة ، أما الكتابة فإذا وصل إليها العوام فليس الإعراب أصعب المعارف التي يجب أن يتوافر عليه الكاتب فـــإذا أريد تقريب الفهم ــ فهم الموضوعات لا فهم اللغة ــ إلى العامة فالسبيل هو الترقي بالعامة بإزالة الأمية إلى درجة الخاصة ،

---

[1] محاضر الجلسات د / ١٠ ج ١٤ للمؤتمر ص ٣٩٧ .

لا الـــنزول بالخاصة إلى درجة العامة " . [١] إذن " فالممكن عمله هـــو التقـــريب لا محو الفارق ، فلنعمل على إيجاد لغة صحيحة يســـتطيع العامي بها فهم ما يريده وما نريده ، ويبقى الفارق بعد ذلك في المدارك ، وفي تخير الأساليب وهذا مجال الفصحى ، وإذا كانـــت في الفصـــحى صـــعوبة فتلك مزية كل شيء مرتفع . والتعـــرض للخطـــأ لا يطعـــن في اللغة ، وكل شيء لا ينال إلا بالتعليم والمرانة " . [٢]

ووقـــف إلى جانـــب العقاد وطه حسين كثير من الأدباء والمفكـــرين ، أمـــثال محمود تيمور ، وعلى الجارم ، والزيات ، وزكي المهندس ، ومحمد فريد أبو حديد ، وسواهم [٣] وإذا كنا قد رأينا من المستشرقين من قاد هذه الدعوة وحمل لواءها ، فهذا "أرنســـت رينان " يسجل في كتابه " تاريخ اللغات السامية " : "أن اللغـــة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال ، وقد انتشرت سلســـة أي سلاسة ، غنية أي غني ، كاملة ، لم يدخل عليها منذ ذلـــك العهد إلى يومنا هذا أي تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا

---

[١] محاضر الجلسات ـــ د / ١٤ ج ٧ ص ٤٧٥ .

[٢] المصدر السابق د / ١٠ ج ١٤ ص ٣٩٧ .

[٣] للإطـــلاع على تفاصيل ذلك يراجع محاضر جلسات مجمع اللغة العربية د/١٤ جزء٧ ، د١٠ / ج١٤ ومجلة المجمع ج١ .

شيخوخة إذ ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة ، حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى " [١] ، ويقول "رتشارد كوبنهيل " : أي لا يعقل أن تحل اللغة الفرنسية أو الإنجليزية محل اللغة العربية ، وأن شعبا له آداب غنية منوعة كالآداب العربية ، ولغة مرنة لينة ذات مادة تكاد لا تفنى ، لا يخون ماضيه ، ولا ينبذ تركة تصل إليه بعد قرون طويلة عن آبائه وأجداده " . [٢]

أما " وليم ورل " فيقرر " أن اللغة العربية لم تتقهقر قط فيما مضى أمام أي لغة من اللغات التي احتكت بها ، وأنها ستحافظ على كيانها في المستقبل ، كما فعلت في الماضي ، وأن لها لينا ومرونة ، يمكنانها من التكيف وفقا لمقتضيات العصر ، وأن اللغات الأوربية ، في خلال نيف ومائة سنة لم تستطع السيطرة على العربية ، أو إضعاف مكانتها " ، [٣] وهناك أراء لكتاب مستشرقين غربيين دونوا وجهة نظرهم وكلها في صالح العربية . [٤]

---

[١] عن استفتاء بمجلة " الهلال " م٨ ، لسنة ١٩٢٠ .

[٢] المصدر السابق .

[٣] مجلة الهلال مجلد ٢٨ سنة ١٩٢٠م .

[٤] مجلة الرسالة (١٩٦٣ ــ ١٩٦٥) ، والأهرام لنفس الفترة .

وإذا كـــان الفضـــل ما شهدت به الأعداء ، وإذا كانت الحملة الشرسة ، قد ضعفت وتقهقرت بل واندحرت في مواجهة أشاوس العربية المخلصين ، فإن الدعوة السابقة إلى العامية لم تمت بـــل أطلت برأسها في ستينيات القرن العشرين ، وبالتحديد في ســـنة ١٩٦٣ بقـــيادة " لويس عوض " حامل ميراث " سلامة موســـى " ، وقد ووجهت كذلك الدعوة مرة أخرى من خلال " مظهر سعيد" و" محمود شاكر " ، و" علي عبد الواحد وافي " ، " عبد الكريم الخطيب " . وغيرهم .[1]

وفي ســـنة سنة ١٩٦٤ ، قاد الحملة " محمود أمين العالم" حول الحوار داخل القصة والمسرحية واستخدام العامية فيه ، وقد تصـــدى لهـــم " طـــه حسين " و " محمد عبد الحليم عبد الله " وغيرهم ولازلنا نعتقد أنها دعوى استعمارية تهدف إلى هدم مقوم أساســـي مـــن مقومات العربية ، فإذا كان الاستعمار الإنجليزي خاصة والأوربي عامة قد تبنى المستشرقون من أبنائه هذه الدعوة فإنهـــا لازالت هدفاً لدى كل مستعمر يريد أن يقضي على كيان هـــذه الأمة العربية والإسلامية ، ويفرق جمعها ويشتت شملها ، فهـــذا " ليفي أشكول " رئيس وزراء إسرائيل ، يصرح " أننا لن نســـمح بوجود لغة واحدة وشعب واحد ودين واحد في الشرق

---

[1] المصور والأخبار ١٩٦٤ ــ مجلة القصة . الأولى .

الأوسط " [١] ، وهكذا يقيض الله للفصحى من يدافع عنها فهي لغـــة كـــتابه ، وقد تعهد بحفظه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون ﴾ . [٢]

---

[١] جريدة الأخبار تاريخ ١٥ / ٦ / ١٩٦٤م .

[٢] سورة الحجر آية ٩ .

٣ – قضايا الأدب والنقـــد

ممـا لاشـك فـيه ومـن خـلال ما عرفنا من معارك للشخصيات في الفصل الثالث ـ أننا قد وجدنا أن قضايا الأدب والنقد قد استحوذت على نصيب كبير من هذه المعارك ، وذلك لأن فرسـانها كانوا في معظمهم من المبدعين والنقاد ، فإذا أضفنا إلى ذلـك أن قضايا الأدب والنقد رغم تخصصها ، إلا أنها تعد جـزءً أصيلا من الثقافة العامة لأبناء مجتمعنا ، تنال من اهتمامهم القـدر الأكـبر ، إذن فلا ريب أن تستحوذ هذه القضايا على نصيب الأسد في تلك المعارك .

وتأتي في طليعة هذه القضايا " القديم والجديد " ، ولعلها قضية كل العصور ورغم أنه أمر نسبي إلا أن النظرة الدائمة إلى الحـديث من القدماء ، أنه هزيل وضعيف ، والنظرة الدائمة إلى القـديم مـن المحدثين أنه جامد وبالي ، فالقدماء يرون في قديمهم تمسـكا بالأصـالة ، وحفاظا على التراث ، والمحدثون يرون في جديـدهم ، الجدة والابتكار ، وليس القرن العشرون بدعا بين القرون فقد ظلت قضية " القديم والجديد " ميدانا لمعارك تبارى فيها فرسان الجانبين ويتم الصلح على أنه لابد للقديم من تطعيمه بالحـديث ، ولابـد للجديـد من أن ينطلق من رحم التراث ،

ويستند إلى دعامات الأصالة حتى يكتب له البقاء وعليه فقد أسفر الصراع عن ثلاثة اتجاهات . اتجاه يؤيد القديم تأييداً لا احتياط فيه ، وقسم يظاهر المحدثين مظاهرة لا تعرف اللين ، وقسم يتوسط بين أولئك وهؤلاء ، ويحاول أن يحفظ الصلة بين قديم السنة الأدبية وحديثها وأن يستفيد من خلاصة ما ترك القدماء ، ويضيف إليها ما ابتكرت عقول المحدثين من ثمرات أنتجها الرقي ، وأثمرها تغير الأحوال وتبدل الظروف .[1]

وقد كان الأسلوب أحد المحاور المهمة في الصراع بين القديم والحديث . ومعركة " الأسلوب " بدأت بين " الرافعي " ، "طه حسين " مبكرا ، حين نشر الرافعي كتابه " رسائل الأحزان " فأحال نقد " طه حسين " معاني الكتاب إلى فضاءات جوفاء ، وأنه ذهب فيه مذهب المتكلفين على عادة بعض الكتاب القدامى ـــ ويمضي إلى القول " وأكبر ظني أن الأستاذ الرافعي نفسه لا يحاول أن يقول شيئا حين يكتب هذه الرسائل ، وإنما هو يذهب في النثر مذهبا غريبا ، فيتكلف العناء والمشقة في الغوص على المعاني الغريبة " .

وكعادة الرافعي يرد على " طه حسين " رد المتهكم لا العالم الذي يفند ، فيسفه نقد طه حسين في سخرية لاذعة ، " لقد

---

[1] من مقال لطه حسين في السياسة في ٦ / ١٢ / ١٩٢٢ .

كتبت رسائل الأحزان في ستة وعشرين يوماً ، فأكتب أنت مثلها في ستة وعشرين شهرا وها أنا أتحداك أن تأتي بمثلها أو بفصل من مـــثلها ، فإن لم يكن الأمر عندك في هذا الأسلوب الشاق عليك إلا ولادة وآلامـــا مـــن آلام الوضع ـــ كما تقول فعلى نفقات القابلـــة والطبيبة متى ولدت بسلامة الله ـــ ثم يرسل الرافعي إلى جريدة السياسة عتابا على نقد " طه حسين " له ، فيرد طه حسين معلقـــا: " أعـــتذر للكاتـــب الأديب إذ أعلنت مضطراً أن هذا الأسلوب الذي ربما راق أهل القرن الخامس والسادس للهجرة ، لا يستطيع أن يروقنا في هذا العصر الحديث " .

ولا يعنيـــنا الاسترسال في المعركة ، ولكن يعنينا ما خص الأسلوب من نقد تمثل في رؤية " طه حسين " لأسلوب الرافعي ، الذي عاب عليه أسلوبه المحافظ البياني ، ورأى أن هذا الأسلوب غير مناسب للحياة الحديثة التي يحياها الناس في القرن العشرين ، وقـــد يكـــون " طه حسين " محقا في جانب ، وهي الدعوة إلى الترســـل في الأســـلوب ، وقد يكون " الرافعي " محقا في رغبته الإبقـــاء علـــى السمت القديم في التعبير ولكن الذي يعنينا أن المعـــركة حول الأسلوب أضحت في الميدان في انتظار ما ستسفر عنه المنازلات الأخرى [1] ، وتنتقل المعركة من دائرتها الضيقة إلى

---

[1] تفاصيل هذه المنازلات في السياسة من ١٢/٦ / ١٩٢٢ : ٦ / ٦ / ١٩٢٣ .

دائرة أكثر اتساعا ، حين يتناول " سلامة موسى " بالنقد أسلوب الرافعي وبعده مع " شكيب أرسلان " " الكاتب السوري " ووصفهما بأنهما من زعماء المذهب القديم ، وانتصر للكاتب الفلسطيني خليل السكاكيني ، ووصفه بأنه المذهب الحديث ،[١] وكان " طه حسين " قد نشر من قبل رسالة للسكاكيني حول الأسلوب القديم والأسلوب الجديد ، وقال " ... إن المعركة ليست بين " الرافعي " و " سلامة موسى " ولكنها أيضا بين "السكاكيني وشكيب أرسلان " ، وقال إن الخصومة بين الأخيرين ، حول الإيجاز والإطناب والمساواة ، فيرى أحدهما أن الإطناب خصلة من خصال اللغة العربية قد عمد إليها أكبر الكتاب وأرفعهم بيانا ، منذ كان النثر العربي إلى الآن ، ويرى الآخر أن الإطناب خصلة من خصال العربية ، ولكن له مقامه ، فلا ينبغي أن يعمد إليه الكاتب ، ولاسيما في هذا العصر ، إلا بمقدار ، [٢] ولا يقف أثر الخصومة عند حد تجديد الأسلوب بل يمتد ليتناول " الذوق الأدبي والذوق العام " فقدر عرض " طه حسين " لرأي الرافعي في الذوق ففنده وذكر أن للعصر الذي نعيش فيه حاجات وضروبا من الحس والشعور تقتضي أسلوبا

---

[١] السياسة ٦ / ٢ / ١٩٢٤ .

[٢] السياسة ٦ / ٦ / ١٩٢٣ .

كتابـــيا يحســـن وصفها ، ويجيد التعبير عنها ... ونحن في حياتنا المادية نلائم بين حاجاتنا ، وبين الأدوات التي نستخدمها لنرضي هذه الحاجات فمالنا إن أردنا أن نتكلم لندل على هذه الحاجات لا نلائم بين لغتنا وحاجاتنا " [١] .

ويمضي في مناقشة أرائه حول القديم والجديد فيقول "انظر إليه مثلا يزعم أن المذهب الجديد في الأدب ليس في حقيقة الأمر إلا نتـــيجة لضعف في اللغة والأدب ... وأنهم قوم ضيعوا حظهم في لغـــة العـــرب وآدابهـــم ، وأخذوا بنصيب موفور من لغات الإفـــرنج وآدابهـــم ، فكانـــت قوتهم في هذه اللغات والآداب وضعفهم في اللغة العربية وآدابها مصدر تورطهم في فنون سخيفة من القول .

ويمضي في عرض رأي الرافعي ـــ ثم يعقب ـــ " أنه أخطأ في فهـــم ما يكتب أنصار المذهب الجديد . وهو إنما أخطأ الفهم لأنـــه أخطأ الذوق ، وهو إنما أخطأ الذوق لأنه أخطأ الفهم ... "ونســـتطيع أن ندور مع الأستاذ الرافعي حول الذوق الذي هو الفهـــم .. " وكان هذا رأي الزافعي في الذوق " ... ونظن أننا ونحـــن من أنصار المذهب الجديد المتشددين في نظره نستطيع أن نفهـــم القـــرآن الكريم ونتذوقه كما الأستاذ وأصحابه يفهمونه

---

[١] السياسة ٦ / ٢ / ١٩٢٤ .

ويـــتذوقونه ، وذلـــك لأن مذهبنا الجديد ، لا يهمل اللغة ، ولا يصرف الناس عنها ، ولا يغير من أصولها وقواعدها ، وإنما يريد أن تكون اللغة حية نامية " .[1]

هـــذا الذي ذكرنا نموذجا يوضح كيف كان التجديد في الأســـلوب مجال معركة كبرى خلال تيارين كبيرين هما المحافظة والتجديد وتراوحت الدعوات في الجانبين بين الاعتدال والتطرف ، فنشـــأ مـــن ذلك أربعة تيارات متداخلة ، نستطيع أن نصفها "التـــيار المحافظ ـــ التيار المحافظ المعتدل ـــ التيار المجدد ـــ التيار المجدد المتطرف " .

وقـــد عاش التياران الرئيسيان جنبا إلى جنب يتصارعان حيـــنا ويهـــدآن هنـــيهة ، فكان من نتائج هذه المعارك أن تحرر الأســـلوب العربي من قيود الزخرف ، وأعلى من شأن الفكر ، وقطع شوطا على طريق الترسل والوضوح .

والقضـــية الثانية التي أرى أنها جديرة بالطرح هي قضية "السكسونية واللاتينية " .

نـــوع آخـــر من الصراع لكن هذه المرة ليس بين ثقافة شرقية وثقافة أوربية ، لكنها بين ثقافتين أوربيتين ، من نبع واحد

---

[1] السياسة ١٩٢٤/٢/٦م .

هـــو النبع اليوناني ولكن فرع منه " إنجليزي سكسوني " وآخر "فرنسي لاتيني " .

في طبـــيعة الصـــراع هـــذه المرة يحمل الصراع فرسان يتمذهبون بهذه المذاهب بحكم الدراسة ، فهم في الأصل مواطنون شـــرقيون عـــرب ويشـــعل فتيل هذه المعركة كتاب " لأنطون الجمـــيل " رئـــيس تحرير الأهرام في ذلك الوقت ، وهو كاتب وصحفي لبناني الأصل ، كانت له إصدارات صحفية قبل الأهرام ، فقـــد اشـــترك في تحريـــر جريدة " البشير البيروتية " ، وهذا الكـــتاب عـــن " أحمد شوقي " ، وقد تناول " العقاد " الكتاب بالنقد ، وفي مطلع تناوله له عرج صوب المؤلف ، وبسط القول في تقديمه لما عرف بنقد اللاتينيين ، ونقد السكسونيين " ، يقول " لا بـــأس أن تطلق حكما على مدرستين كبيرتين ضمن مدارس الـــنقد الأدبي الحـــديث في البلاد العربية ، وهما مدرسة اللاتين وشـــعارها الآناقة ، ومدرسة السكسون ، وشعارها البساطة أو الفطرة ... " .

ومضى إلى القول " ... فإن الأستاذ الجميل أحسن مثال للمدرســـة اللاتينـــية بين أدباء العربية ، ولاسيما في العهد الذي تلقـــى فيه دروسه ، واستهل حياته الأدبية ، ولا يخفى أن ثقافة

اللاتينـــيين قبل ثلاثين سنة ، تباين ثقافتهم في عهدنا الحاضر ، إذ يميل الأدباء ميلا ظاهرا إلى الفطرة والبساطة "

ومـــن هنا فلا غرو من الأستاذ " الجميل " أن " .. يقدم شـــوقي في هذا الكتاب كما يقدم الظريف الباريسي صاحبه إلى جماعة الصالون ، مجاملة اجتماعية في كل سطر من السطور ، فإن كان لابد من غمزة ، فهي الغمزة التي تعود في أثناء الكلام نكتة مستملحة تتيح للكاتب فرصة اللباقة في الدفاع الذي يعقبه تبادل الشـــكر والابتسام " . [1] وتدخل الدكتور / طه حسين بعد ما أثـــاره ما قال " العقاد " عن المدرسة اللاتينية ، التي ينتمي إليها د/ طه حسين بحكم دراسته أنه قد يشارك العقاد في كثير جداً من آرائه في شوقي والمعجبين به ، ولكن الشيء الذي أخالفه فيه أشد الخـــلاف ، والذي من أجله كتبت هذه الفصول هو المقدمة التي بسطها بين يدي نقده لكتاب أنطون الجميل وذهب إلى أن العقاد قـــد أراد أن يجامل " أنطون الجميل " وألا ينقد شعر شوقي بعد وفاتـــه ، فهاجم المدرسة اللاتينية الفرنسية بأتباعها وعناصرها ، ومضـــى إلى القول " إن العقاد ظلم الثقافة اللاتينية وظلم النقد اللاتـــيني ، وظلـــم قـــراءه ، لأنـــه ليس هناك نقد لاتيني ونقد

---

[1] جـــريدة الجهـــاد في ١٧ / ١ / ١٩٣٣ مقـــال " شوقي وأسلوبان في النقد " عباس العقاد .

سكســوني ، وإنما هناك نقد فحسب ، وأنه لا خلاف في الجوهر أو الطبــيعة بــين النقدين " ــ ويفند أراء العقاد قائلا : " ... وأغرب ما في هذا الفصل الذي كتبه الأستاذ العقاد تناقض لست أدري كــيف تــورط هو فيه .وهو فيما أعلم من أشد الكتاب المعاصرين استقامة في الحكم ... فزعم أولاً : أن للاتينيين مذهبا في الــنقد ، وأن للسكســونيين مذهبا ، وأن هذين يختلفان فيما بيــنهما أشــد الاختلاف . وزعم أن أخص ما يمتاز به المذهب اللاتــيني "الأناقــة" وأخــص ما يمتاز به المذهب السكسوني " السذاجة " أو الفطرة .. وختم حواره بقول : " أنا لا أحب أن يظــن الأســتاذ العقاد ، أني أدافع هنا عن الثقافة اللاتينية على حســاب الــثقافات الأخــرى ، فأنا أشد الناس إكبارا للثقافة السكسونية ، وإعجابا بما عرفت منها " .[1]

ويعاود العقاد الكرة ، فيكتب تحت عنوان " نعم لاتينيون وسكسونيون " فيتحدث عن المدرسة اللاتينية مرة أخرى ، وعن روادهــا " سانت بيف " و" أناتول فرانس " وغيرهم ويمضي إلى القــول " إن الأدبــاء المصــريين لينقسمون إلى دارسين للثقافة اللاتينــية ، ويكثر بينهم مؤرخو الأدب والشارحون ودارسون

---

[1] مقال طه حسين " الرسالة في ٢٩ / ١ / ١٩٣٣م .

للثقافة السكسونية ، ويكثر بينهم الأدباء ، والشعراء " واهم في نهاية المقال د / طه حسين بالتشيع لهذه المدرسة .[١]

علـــى أن المعركة تميل إلى الهدوء حين يرد " طه حسين " علـــى العقـــاد بقـــوله " إنه لا يجب أن تنتقل المناقشة بينه وبين الأســـتاذ العاقد من نقد اللاتينيين إلى الثقافة اللاتينية ، والثقافة السكســـونية ، لأنه يجب الثقافتين معا "[٢] ويشير إلى أنه متأثر وليس متعصبا لأي منهما حيث أنه لم ينس جذوره العربية وأصله العربي ويكتب العقاد عقد الصلح في ختام المعركة حين يقرر أن طه حسين دينه للأدب السكسوني أكبر من دينه للأدب اللاتيني ويذكـــر مؤشـــرات في كتابات وأسلوب طه حسين تؤكد هذا المنحى " .[٣]

وتنتهـــي المعـــركة لا خاسر ولا رابح ، لكن الرابح في الأصل الفكر العربي الذي يطعم عصارة فكر الرجلين .

وننتقل إلى قضية ثالثة ، وهي " قضية " الفن للفن / الفن للمجتمع " والخلاف بين أصحاب المذهبين ـــ إن صح التعبير ـــ قائم على أساس المنظور الذي نرى من خلاله الأدب ، والمقياس

---

[١] الجهاد : ٣١ / ٣ / ١٩٣٣ .

[٢] الرسالة : ٥ / ٤ / ١٩٣٣م .

[٣] الجهاد : ١٤ / ٤ / ١٩٣٣ .

الذي نقيسه به ، فأصحاب الفن للفن ، لا يرون في الإبداع إلا فنا يقاس بمقياس الفن وحده ـــ سواء وافق الأخلاق أم خالفها ، وأصحاب الفن للمجتمع ، يقيسونه بمقياسين أحدهما فني والآخر أخلاقـــي ، ومن ثم فإن أبا نواس عند أصحاب النظرة الأولى هو الأعلـــى قدرا فوق أبي العتاهية ، وأصحاب النظرة الثانية يرون العكـــس وســـوف نقـــف مع اصحاب هذه الآراء لنرى كيف يبســـطونها ويحللونها ، ويتصارعون حولها ، محمد مندور وهو من أصحاب النظرة الثانية يتساءل " لماذا لا يسعى الأديب إلى تحقيق هدف إنساني آخر إلى جوار الإضحاك والجمال ، ولماذا لا يدعوه الـــناقد إلى ذلك ، وإلا وضع عمله الأدبي عند التقييم في مرحلة أدنى بكـــثير مـــن عمل الأديب الآخر الذي يحس بمسئوليته إزاء الحياة والمجتمع ... ويحقق إلى جوار الجمال أو الضحك في عمله الأدبي هدفا إنسانيا أو اجتماعيا ينطق بشعوره بأنه ملتزم ومدرك لمســـئوليته " [1] ويشـــاركه رأيـــه " عبد الوهاب عزام " يقول "جنبونا كل معنى رخو مترف كسول ، وكل فكرة ماجنة دنيئة ، جنبونا هذه النفثات التي تهبط بالشباب الطامحين من قيم الطموح والجهاد إلى حضيض الدعة واللهو والاستكانة وانفخوا في أدبكم

---

[1] الأدب وفـــنونه ص ١٥١ ، ١٥٢ معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٦٣م .

ضـــوء النار وحرها ، ليسمو بالنفس الخامدة ، ويطير بالقلوب الهاجدة إلى سماء الفضيلة ومطامح المجد العليا .

لا تقولـــوا : " الفن للفن " ولا تسووا بين النحلة طائرة وجاهدة لتعسل ، وبين الجعل يقلب بين القاذورات دحروجته ، وإن كان كلاهما عاملا لفنه ... " .[١]

وفي نفـــس الاتجاه يسير أحمد أمين فيرى " أن الفن إذا لم يتصـــل بـــالأخلاق الفاضلة اتصالا وثيقا لم يكن فنا طيبا ، فإن وظـــيفة الفنون ، إنما هي إثارة العواطف النبيلة ، فالنظرية التي تقول : إن الفن الذي يثير الشهوة ومنازعها وميولها وأهواءها ، معـــرض للـــذة ومبعث لسرور نظرية غير صحيحة نهايتها إثارة الشـــعور المـــادي والشهوات المادية في غير جمال " وقد يتعاطف المتلقي مع هذه النظرة لأول وهلة ، لأنها تجعل الأديب يخرج من عزلته ، وينغمس في حياة مجتمعه ويعبر عنها ، لأن بلادنا وأوطاننا قد تكون حاجتها إلى هذا اللون من الأدب أشد من حاجتها إلى الألـــوان الأخـــرى فيصـــبح الأدب " ظل لحياة الأمة والوعي الاجتماعـــي لا الوعـــي بالـــذات فحســـب هو الذي يجب أن يسود..." على حد تعبير أحمد أمين [٢] .

---

[١] الثقافة ع ٢٠٢ ص ٢٠٠٠ س٤ .

[٢] راجع هذه الآراء في الثقافة : ٢٧٥ في ١٩٤٤/٤/٤ .

ولكـــن في المقابل فإن نظرية " الفن للفن " لم تكن قائمة على خواء فكري ، وإنما لها فلسفتها التي تجعل الأدب حراً وليس خاويـــا ، وتجعل من الامتاع الفني وحده غاية " وإن اليوم الذي نرى فيه الأدب ، قد استخدم للدعايات الاجتماعية و" التصوير" واســـتغل في معارض الإعلان على السلع التجارية ، والشعر إن جعل أداة لإثارة الجماهير في الانتخابات السياسية لهو اليوم الذي نـــوقن فيه بأن الإنسان قد كر فانقلب طفلا ، يضع في فمه تحف الـــذهن " [١] ، وهكذا نرى توفيق الحكيم يرفض أن يكون الفن لشيء غير الفن ، لكنه في المقابل لا يرفض أن يخدم الفن المجتمع ، لكـــن تظـــل رسالته في المقام الأول هي الفن " أما إذا كان في الإمكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا فإني أرحب به وأسلم من الفور بأنه الأرقى . ولكن هذا لا يتهـــيأ إلا للأفـــذاذ الذي لا يظهرون في كل زمان " [٢] ، فالفن يأتي أولا ، وينكر الحكيم أن يملي على الفن اتجاه بعينه أو توصية بارتـــداء لـــباس الحكمـــة أو الإصلاح إلا أن يشاء هو ويرضى فالفـــنان "ليس مصلحا ولكنه صانع المصلح " ويمضي إلى القول "أمـــا أن يخـــدم الفـــنان والعالم أمته وقومه فهذا واقع بالبداهة

---

[١] الرسالة : ٥٦٢ في ١٠ / ٤ / ١٩٤٤ .

[٢] المصدر السابق .

والضـــرورة لأن آثار الفن والعلم لا تبقى إلا إذا رأى الناس في بقائهـــا مـــنفعة " [1] ، والحق أن الخلاف بين الوجهتين خلاف مفتعل إذا أضفنا إلى ما سبق هذه الرؤية لأحمد أمين يقول " الذي نذهب إليه أن الصبغة الخلقية ليست لازمة للأدب ، بل قد يكون الشـــيء أدبا ، ولو لم يكن خلقيا ، ولكن المشاعر الخلقية أرقى بلاشك من غيرها من المشاعر ، وبعبارة أخرى لا يمكن أن يقاس الأدب الراقي بقياس اللاخلقية " . وذلك لأن " الفن الراقي هو الذي يلهم الإنسان المعاني الشريفة ويوسع نظرة الإنسان للحياة ويكـــون مبعث قوة لملكات الإنسان " وكما نرى كلا الوجهتين تخرج الأدب من دائرة الإلزام ، وكلا الوجهتين ترى أن الأدب يكون أرقى إذا جمع بين روعة الفن ، وقيمة المحتوى ، فهو يجمع إلى روحانـــية الفن قوة المقاومة للشر ، فإذا كان " أحمد أمين " لم يلـــغ ما للفن من قيمة الامتاع ، فإن " الحكيم " لم يحرم على الفـــنان الهـــدف الأخلاقـــي ، بل جعل الجمع بينهما إنما يتأتى لأعلامهم ومبرزيهم .

ونكتفي بهذا العرض ، وإن كانت القضية لازالت مفتوحة لم تحسم عند الأدباء بعد ، وخلفت عنها قضايا أخرى " كالإلزام

---

[1] الرسالة ٥٦٤ ــ ٢٤ / ٤ / ١٩٤٤ .

والالتزام " وفق الأيديولوجيات التي هبت على منطقتنا العربية في النصف الثاني من القرن العشرين .

ومن القضايا ذات الصلة بالقضية السابقة :

قضية " أدب الروح وأدب المعدة "

وأعتقد أنها تفرعت عن قضية " الفن للفن ، الفن للمجتمع " فوفق نظرة " أحمد أمين " ، للأدب الهادف إلى خدمة المجتمع ، بدأ يميز بين الأدب ، فيجعل الأدب الذي يتصل بالعواطف السامية " أدب الروح " وعد منه " القرآن الكريم" ، وشعر الحماسة ، والغزل العذري ، ورأى أن " كل هذه الأنواع من الأدب تنبعث من عواطف نبيله ، وتبعث أيضا على أعمال نبيلة ، تنبع من عواطف سامية ، وتدفع إلى أعمال سامية ، وهي أليق ما تكون بالإنسان الراقي المهذب " أما أدب المعدة فهو "ذلك الأدب الذي يدور حول سد الرمق ، وملء المعدة ، واستدرار المال ، وتحصيل القوت " وجعل منه " المديح " لأنه نوع من الاحتيال على الممدوح ، لتحصيل المال ، ومنه الغزل الفاجر ــ على حد تعبيره ــ والتهاني ، وكل ما كان وسيلة لتقاضي أجراً أو جلب منفعة ، وغالى في تطبيق مذهبه فجعل من أدب المعدة شعر الزهد وقياسه لشعر الزهد على أنه من " أدب المعدة " غير موفق في تصنيفه ، إلا أنه رأى أن اتخاذه موقف سلبي

من الشهوات ، فهو أدب معدة كما نسمي " الدفاع في الحرب فإنه من الحرب " ، وعد أيضا " أدب المقامات " من " أدب المعدة " حيث كان محورها الطعام والتطفل ـ وكما سبق أن ذكرنا فقد كان من وراء هذا التصنيف رؤيته للفن الهادف الخادم للمجتمع نراه يصرح في المقال بهذا " فإن نحن نظرنا إلى الأدب من أنه خادم للهيئة الاجتماعية ، ووسيلة من وسائل الرقي النفسي ، وأداة من أدوات الإصلاح الاجتماعي كان أدب المعدة من هذه النواحي صفرا ، بل هي كمية سلبية وعبء ثقيل " [١] وقد وقف " ذكي مبارك " لهذه الرؤية بالمرصاد ، وراح يفندها بنداً بنداً ، وأنكر على " أحمد أمين " أن تكون المعدة هدفا ، فالإنسان يعمل للمال وللمعدة ، وأنه يفقد قوته إذا خوت معدته ، والقرآن يغري الناس بصالح الأعمال من أجل ثواب الآخرة الذي يصوره في شكل مادي للترغيب ﴿ على سرر موضوعة متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ [٢] ، وهدف القرآن هو تخليص العقلية الإنسانية من وهم الرهبنة ، وحثهم على اغتنام المنافع الدنيوية والأخروية ، وليس أدل على ذلك النص الداعي

---

[١] راجع فيما سبق مجلة الثقافة ش١ ع ١٣ / ١٩٣٩ .

[٢] سورة الواقعة الآية من ١٥ ـ ١٨ .

إلى اغتنام ما في الحج من شهود المنافع . [١] وهو نص صريح على أن مطالب المعدة تساوي في نظر الشرع مطالب الروح ، وكلنا يعمل للمال والمعدة ، ولا عيب في ذلك . [٢]

وبدأ يفند ما ادعاه أحمد أمين فيما صنفه على أنه من "أدب المعدة " فيقول " المديح والهجاء هما السجل الصحيح للأخلاق العربية ، فمن المديح نعرف كيف كان العرب يتمثلون المناقب ، ومن الهجاء نعرف كيف كانوا يتصورون المثالب ومن المحاسن والعيوب يعرف الباحث صور المجتمع في الحياة العربية والإسلامية ولو ضاعت قصائد المديح والهجاء لضاع بضياعها أعظم ثروة يستفيد بها علماء النفس لفهم تطورات الأفكار والأذواق فيما سلف من عهود التاريخ .

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة العلا من أين تؤتى المكارم[٣]

على أن المادحين والهاجين لم يكونوا جميعا طلاب أرزاق ، وكان لهم دور في المجتمع يشبه الدور الذي تقوم به الصحافة في العصور الحديثة ، وكان لبعض قصائد المدح والهجاء تأثير نافع في

---

[١] يشير إلى قوله تعالى " وليشهدوا منافع لهم " الآية ٢٨ من سورة الحج .

[٢] الرسالة س٧ ع ٣١١ ص ١١٧٨ وما بعدها .

[٣] ديوان " أبو تمام " ـــ تحقيق / رشيد خلف نعمان ـــ دار الطليعة ـــ بيروت سنة ١٩٧٧م ص٢٨٦ .

تقـــويم الأخلاق ، وكانوا يقيمون بقصائدهم معاهد لتعليم اللغة والأدب والـــتاريخ ، وقـــد كانوا بالفعل معلمين ، لأنهم كانوا أســـاتذة أدب في تلك الأزمان ، وبفضل صوابهم وخطئهم كان يعيش النحاة واللغويون " [١] ـــ ويستطرد في التدليل على أهمية قصـــيدة المديح ثم يدلف إلى قصيدة الهجاء ، فيقول " وما كانت الأهاجـــي أقـــل قيمة من المدائح في الدلالة على هذه الشئون ، فالأهاجـــي كانـــت في الأغلب تمثل صوت المعارضة السياسية ، وكـــان لها تأثير شديد في كبح جموح الطغيان ، وبفضل الأهاجي قلمت أظافر الاستبداد ، وخشى الطغاة بأس القلم واللسان "[٢] وأما ما نعاه " أحمد أمين " على أدب العصر العباسي ، وصفه بأنه أدب قصور ، فيرد " زكي مبارك " فإن ذلك لا يعني في نظره أن هذا الأدب كان بعيدا عن الشعب والحياة ، فلا يخرج الأدب عن واجـــبه في نقـــد الحياة إذا تحدث عن الملوك والخلفاء فـــ" هل كانت المدائح والأهاجي إلا دساتير لحياة الناس في تلك الأزمان؟ والشعب نفسه هو الذي كان يتلقى المدائح والأهاجي بالقبول ، وهـــو الذي كان يروى ما يقوله الشعراء في الرؤساء والملوك ،

---

[١] الرسالة س٧ ع٣١٢ ص ١٢٣٣ وما بعدها .

[٢] المصدر السابق والصفحة السابقة .

فهـــو قـــد اشترك فعلا في مسايرة الاتجاهات الأدبية في العصور الخالية " .[١]

وأمـــا المقامـــات فيرى " زكي مبارك " أن هجوم " أحمد أمـــين" علـــيها لم يكن إلا تابعا فيه ، مقلدا لغيره ، متأثراً بموقف " سلامة موسى " من المقامات ، غير أن " سلامة موسى " له عذر مقبول ، وهو بعده عن التغلغل في أسرار الأدب العربي أما أحمد أمـــين فلا عذر له ، وهو الذي يتصدى لتدريس الأدب بالجامعة المصـــرية.[٢] أمـــا المقامـــات فهي فن تجاوز اللغة العربية إلى ما جاورها من اللغات فقد " شرحت عدة مرات ، وشغلت الأدباء واللغـــويين في المشـــرق والمغـــرب ، وبلغ من قيمتها أن كتبت بالـــذهب مئات المرات ، وتهاداها الملوك والأمراء،ووصل تأثيرها إلى الأدب الحـــديث..."[٣] وقد رأى أدباء العرب في المقامات " وســـيلة للتعـــبير عـــن طوائف من الأغراض ، ومن أجل ذلك تصرفوا فيه ، فنقلوه من ميدان إلى ميدان ، وحملوه ما شاءوا من المذاهب والأراء ، وما فهمه العرب فهمه الفرس وغيرهم .[٤]

---

[١] مجلة الرسالة ص٧ ٤ / ٣١٣ ص ١٢٩١ .

[٢] المصدر السابق والصفحة السابقة .

[٣] الرسالة س٧ ع ٣١٣ ص ١٢٩١ .

[٤] المصدر السابق .

ولا يخرج أدب التطفل عن كونه نقدا للحياة الاجتماعية لأن المتطفلين جزء من المجتمع أو إعمال السخرية فيه .[1] ومضى زكي مبارك في تفنيد آراء " أحمد أمين " . والمساجلة تكشف لنا عما وصل إليه رواد هذا العصر من ترف فكري ، وما وصل إليه المتلقون من عمق ثقافي يتجاوبون مع مقالاتهم تلك الحاملة لهذه الآراء .

كما توقفنا على ما وصل إليه النقد من رقي في الفكر ، واتساع في قضاياه المطروحة ، وعمق في مناقشتها ، وعارضة نقدية قوية ، تقف مع الآراء المطروحة وقفة المتدبر ، لا وقفة المتلقي .

وبذا نكون قدمنا للقارئ نماذج للمعارك التي دارت حول القضايا الأدبية في الحقبة المنوطة بالدراسة ، وهي قطاع من قطاعات حياتنا الفكرية له خطورته وأهميته ، ونحيل طالبي الاستزادة ، إلى مصادر المعارك الأخرى وقد دارت حول :

أولا : جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي ـ وقدمنا طرفا منها في ترجمة " أحمد أمين " ، وهي معركة قد استمرت أكثر من ستة أشهر ـ شارك فيها زكي مبارك ، وعبد الوهاب عزام ، وعبد المتعال الصعيدي ، وقد بدأت في مايو سنة

---

[1] المصدر السابق ع ٣١٧ ص ١٣٩٠ .

١٩٣٩ بمقـــال لأحمد أمين في مجلة الثقافة ، وجاءت الردود في مجلة الرسالة تحت عنوان " جناية أحمد أمين على الأدب العربي" وقد أشعل " أحمد أمين " فتيل المعركة ثم وقف متفرجا صامتا .

ثانيا : " المغالطات " وكانت بين بشر فارس ، وإسماعيل أدهـــم ، واســـتمرت على صفحات الرسالة من يونيو ١٩٣٩ حـــوالي ستة أشهر أو يزيد متقطعة ، وقد تناوب كل منهما نقد صاحبه .

ثالـــثا : " حـــول الشيخ المرصفي " وكان فارساها زكي مبارك ، والسباعي بيومي ، وقدمنا ملخصا لها عند الترجمة لزكي مـــبارك ، وقـــد استمرت على صفحات الرسالة من يناير سنة ١٩٤١ ولمدة شهرين .

رابعا : " بين الحكيم وزكي مبارك " وتدخل فيها العقاد والزيات ، واستمرت حوالي ثلاثة أشهر من مارس ١٩٤٢ على صفحات الرسالة ، وهي تتعلق بمعاملة الأديب للناس في مجتمعه ، بين تواضعه أو ترفعه .

خامسا : " رسالة الغفران " ، وكانت بين العقاد ومندور ، حـــول الأســـبق في كـــتابة الرحلة إلى العالم الآخر ، الأديب الروماني "لوسيان " أم أنه " أبو العلاء المعري " وتنقلت المعركة بين الثقافة والرسالة وكانت خلال شهري يونيو ويوليو ١٩٤٢

سادســـا : " الإمتاع والمؤانسة " وكانت بين " مندور " والأديب العراقي " أنستاس الكرملي " وتفرعت ليدخل ميدانها زكـــريا إبراهيم ، ومحمود شاكر وغيرهم ، ودامت حوالي خمسة أشهر على صفحات الرسالة بدءً من أغسطس ١٩٤٢ .

سابعا : " الأدب المهموس " ودارت بين " سيد قطب " ، "محمـــد مندور " واتسع ميدانها ، فدخل إلى ساحة المعركة دريني خشـــبة ، وزكريا إبراهيم وغيرهم ، واستمرت أكثر من شهرين بين الثقافة والرسالة بدء من مايو سنة ١٩٤٣ .

ثامناً : " الحروف اللاتينية والعربية " وكان فرسانها عبد العزيـــز فهمي وإسماعيل مظهر وساطع الحصري ، وعبد الوهاب عـــزام وغيرهـــم وقد تناولنا هذه المعركة في فصل " الهوية " من الـــباب الرابع ، وقد استمرت حوالي ثمانية أشهر بدء من مارس ١٩٤٤ ، على صفحات " المصور " و" الرسالة " .

تاســـعا : حـــول كـــتاب " النثر الفني " لذكي مبارك . ودارت رحاها على صفحات " البلاغ " و " الرسالة " أكثر من ثمانية أشهر ، وكان فارساها " محمد أحمد الغمراوي " الذي انتقد كتاب " زكي مبارك " " النثر الفني " في مقالات متوالية فتدخل زكـــي مـــبارك للـــدفاع عن مؤلفه بأسلوبه العنيف ، مما اضطر

الـــزيات إلى منع الرسالة من نشر مقالاته ، وقد بدأت في إبريل سنة١٩٤٤ .

عاشرا : حول كتاب " البلاغة العصرية واللغة العربية " لسلامة موسى ، وقد احتشد لها كامل عجلان ، وأحمد الحوفي ، وعـــباس العقاد ، ونقولا حداد ، واستمرت طيلة أربعة أشهر في مايو سنة ١٩٤٥ على صفحات الرسالة .

إذا كانت تلك أبرز المعارك التي تتعلق بالجانب الأدبي ، فهناك معارك أخرى كتلك التي كانت بين د / رضا نور ، وأحمد زكي باشا ، وقد حاول الأول إرجاع أصل الفراعنة إلى الأتراك وكـــذلك قضية سلامة موسى ومن لف لفه حول إحلال العامية محل العربية الفصحى وقد عقدنا الفصل الثاني من الباب الرابع في هـــذه الدراسة لذلك ، وكذلك قضية الفرعونية والعربية ، وقد تناولـــناها في الفصـــل المذكور ، وهناك معارك بين عبد المتعال الصـــعيدي ، وعبد الفتاح بدوي وأحمد الشايب حول القصة في القرآن الكريم ، إضافة إلى معارك التاريخ الإسلامي حول " الفتنة الكـــبرى ، لطه حسين ، ولكنا ركزنا على المعارك التي دارت في الغالـــب رحاها على صفحات المجلات والصحف المصرية لعدم الخروج على خطة الدراسة ومنهجها .

خاتمـــة

وبعد ،،،

فالاخـــتلاف سمة من سمات الوجود ، ومظهر دال على الحياة فالكون كله يحمل سمات الصراع ، لكنه يمضي إلى غايته في دقة ونظام ، والفكر والفن إنما يبرزهما التقابل ، ويحييها الخلاف ، ومـــن هنا كان قولهم " اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية " ، وقولهم " وبضدها نتميز الأشياء " .

لقد شكلت الخصومات الفكرية والمعارك القلمية ظاهرة تســـترعى الانتـــباه ، فكانت عاملا من عوامل النهوض والرقي الفكري إذا تجاوزنا ، عما اعتراها من تجاوز بلغ حد السفساف والممقـــوت ، في تعرض بعضهم لذوات بعض ، إذا تجاوزنا هذا القـــدر المؤســـف وهو قليل بالطبع إذا قيس بحجم الطروحات والأفكار والموضوعات التي دارت حولها هذه المعارك ، أقول إذا تجاوزنـــا ذلـــك إلى الآثار الفكرية والأدبية التي خلفتها المعارك لـــوجدناها هائلة ، فقد كانت شحنة الوقود ، التي قادت قاطرة التقدم إلى الأمام في النصف الأول من القرن العشرين ولما هدأت حـــدة المعـــارك ، وخلدت الأسنة والألسنة للثبات ، رأينا مواتا يعتـــري حياتنا الفكري فيما تبقى من القرن الماضي ، فإن لم يكن

اخـــتلاف الـــرأي يقدح زناد الفكر ، ويوري نور المعرفة ، فمن الذي يقود إذن عجلة التقدم إلى الأمام ، وإذا ما تحدثنا عن الآثار الفكـــرية والأدبـــية التي خلفتها المعارك القلمية في تلك الحقبة لـــوجدناها كثيرة صعبة الحصر عصية على الإلمام بها ، لكنا نقدم بعضا منها في إجمال يشفع لنا فيه ما فصلناه في أبواب البحث .

أولا : إثراء الحياة الفكرية :

فممـــا لاشـــك فيه أن المعارك القلمية ، قد أثرت الحياة الفكـــرية ثـــراء عظـــيما ، فقدمت للقراء زادا شكل عقلياتهم وتوجهاتهم ، فرأينا كيف تواصلت الأجيال ، بل كيف ساعدت علـــى كشف مواهب الناشئة ووضعتهم على أول الطريق ، بل وحـــثهم على السير فيه حتى وجدنا قامات كثيرة تملأ الساحة في مجالات الفكر المختلفة وفتحت باب المناقشة بل والتراع في أعقد المسائل الفكرية والحياتية والأدبية وعلمت الأقلام كيف تناضل كالأســـنة بـــل أشـــد عن فكرها الإسلامي الصحيح وتاريخها وقوميـــتها ، وسد ثغرات التهم عن ماضيها وتراثها ، ووقفت في وجـــه الـــثقافات الوافدة ، فأفادت منها بقدر ، ورسمت مناهج للعلوم وخلفت رأيا عاما مستنيراً .

ثانيا : تطور الحياة الأدبية :

فرأينا فنونا أدبية مستحدثة تأخذ مكانها ، بعد أن يتصارع النقاد في توجيهها ، فتتعرف على المكونات الفكرية والفنية والأصيلة فتستلهمها ، كذلك دافعت عن اللسان العربي ضد كل محاولات النيل منه ، وقضت الخصومات الأدبية على روح المجاملة النقدية ، فسارت الحركة النقدية تبني نفسها وفق منهج مدروس ، وتطعم ثقافتها وتخصب تربتها ، فمال الأسلوب النثري إلى الترسل ، وتخلص من التبعية للنثر المثقل بالزخارف والطلي ، وعرف الشعر مدارس مختلفة ، وبدا يتلمس طريقه في كل حين لتقديم روح شعرية معاصرة ، وتخلف عن هذه الصراعات كتابات أدبية ونقدية واضحة للعيان .

ثالثا : إحياء النزعة الإسلامية في الفكر المعاصر :

فعلى الرغم من السهام التي وجهت إلى تاريخنا الإسلامي ولغتنا الإسلامية ، وفكرنا الإسلامي ، إلا أن هذه السهام ، أيقظت الغافي ، ونبهت الغافل ، فكان ردا الفعل قويا ، وخرجت مدرسة " الرافعي ، ومحمود شاكر ، وسيد قطب ، وأنور الجندي وسواهم وشارك في هذا الاتجاه هيكل ، وطه حسين ، والعقاد وغيرهم ، وزخرت المكتبة العربية بمؤلفاتهم التي كان كثيرا منها مقالات في الصحف للرد على دعاوي التغريب ، فتحول نتاج

المعـــارك إلى أسفار إسلامية ، من عبقريات العقاد ، لحياة محمد ، لإعجـــاز القرآن إلى غير ذلك مما مثل زاداً ثقافياً ، نطعمه حتى اليوم .

وأخيرا ..

كانـــت هذه المعارك خير وبركة أفاد منها المجتمع جميعه ، وانتهت المعارك شيئا فشيئا ، وما كنا نود لها أن تهدأ أو تموت ، فقـــد كانت سيوفها أقلاما ، وحرابها ألسنة ، ودماؤها ، مداداً ، ومـــيدانها القـــرطاس ، وغبارها صفحات كتب انتصر فيها نور المعـــرفة ونتائجها سيلا من المؤلفات عصارة فكر فرسانها ، تضم إلى كنوزنا العربية الزاخرة .

فإن كنت قد وفقت ، فما توفيقي إلا بالله، وإن كانت الأخرى ، فلا كمال إلا لله ،وحسبي أنني حاولت مخلصا ،وعلى الله قصد السبيل.